مساجد مدينة المرج الليبية الباقية من العصر العثماني الثاني
١١٢٣-١٣٢٩هـ / ١٧١١-١٩١١م
دراسة آثريه معمارية

د./ عبد الله كامل*

كان لطبيعة عملي في جامعة عمر المختار بمدينة البيضاء أكبر الأثر في التعرف عن - قرب - علي المواقع الأثرية القديمة بالجماهيرية العربية الليبية ، حيث قمت بزيارات علمية عديدة لها، وقد لفت انتباهي الموقع الأثري لمدينة المرج وهي إحدى المدن الواقعة في المنطقة الشرقية من الجماهيرية ، حيث وجدت بها عدة مساجد يجمعها طراز معماري واحد ، مما يؤكد علي مظهر من مظاهر الطراز المحلي ، وهو الأمر الذي دفعني لدراسة هذه المنطقة ، خاصة وأنه لم يسبق أن تناولها أحد من الباحثين بالبحث والدراسة ، وأذكر من المواقع الأثرية التي زرتها مدينة درنة ومسجدها الجامع ، ومدينة شحات (مقر مراقبة الآثار)، ومدينة البيضاء ومسجدها الجامع ومتحف الآثار بها ، ومدينة طلميثة ، ومدينة بنغازي وغير ذلك من المواقع. وقد أفادتني تلك الزيارات في التعرف علي مظاهر العمارة الدينية الإسلامية في كل موقع ، والعوامل البيئية المؤثرة في تكوينها، وهو الأمر الذي جعلني أدخل بعض هذه المواقع في دراسة مقارنة مع موضوع البحث حتى يتسنى لي استخلاص السمات المعمارية المميزة لمساجد مدينة المرج. هذا وقد استهللت البحث بدراسة تناولت الإطارين الجغرافي والتاريخي للمدينة ، ثم أوضحت العوامل السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التي ساعدت علي نشأتها ونموها وازدهارها ، ثم العوامل التي أدت إلي تدهورها واضمحلالها ، ثم أتبعت هذه الدراسة بعرض تفصيلي تناولت فيه مساجد المدينة من حيث التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية ، وأوضحت مميزاتها الخاصة والعامة في ضوء المؤثرات البيئية التي كان لها أكبر الأثر في تشكيلها ، إلي جانب بعض الإشارات حول التأثيرات الوافدة.

الموقع الجغرافي للمدينة[١]:

تتمتع مدينة المرج (برقة قديماً) بموقع جغرافي إستراتيجي هام ، فهي تقع علي الطريق الرئيسي الممتد من درنة[٢] إلي سهل بنغازي[٣] وما وراءه إلي الغرب والجنوب في الطريق إلي طرابلس ، وتبعد عن سهل بنغازي بحوالي مائة كم ، يحدها من الشرق مدينة

---

* مدرس بقسم الآثار كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي.

(١) ذكرها ياقوت الحموي فقال "اسم صقع كبير يشتمل علي مدن وقري بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها أنطابلس وتفسيره الخمس مدن".
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م: معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٧٨م ، مج١ ، ص ٣٨٨.

(٢) تقع قرب مدينة المرج ، ذكرها ياقوت الحموي من عمل باجة
ياقوت الحموي: معجم البلدان ، مج٤ ، ص١٦.

(٣) مزيد من التفاصيل عن سهل بنغازي انظر:
د. فتحي أحمد الهرام: التضاريس والجيومورفولوجيا (الفصل الثالث من كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ، الدار الجماهيرية ، سرت ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٥م ، ص١٠٥.

البيضاء[٤] ، ومن الغرب مدينة توكرة[٥] ، وتتوسط المدينة سهلا زراعياً خصباً تحيط به المرتفعات الجبلية من كل جانب ، مما جعلها في مأمن من الغارات البحرية البيزنطية ، وقد أتاح هذا الموقع المتميز للمدينة أن تصبح قاعدة عسكرية أمامية للمسلمين في غرب مصر تستقر فيها وتنطلق منها الجيوش الإسلامية الوافدة من مصر لمواصلة الفتوحات الإسلامية فيما يليها غرباً.

تطور الاسم (أنطابلس – برقة – المرج):

كانت المدينة تعرف قبل الفتح الإسلامي بأنطابلس ، ثم أطلق عليها العرب اسم برقة بعد الفتح ، كما أطلقوا هذا الاسم أيضاً علي الإقليم الكبير الذي كان يمتد من نهاية حدود مصر الغربية حتى تاورغا[٦] ، وفي ذلك قال ابن سعيد "وكانت البلاد تعرف بأنطابلس فسمتها العرب برقة لما رأتها كثيرة الحجارة المختلطة بالرمل"[٧].

هذا وقد عرفت المدينة بالمرج منذ النصف الثاني من القرن ٧هـ/١٣م حتى اليوم، فقد أمدنا أبن سعيد بنص مهم يمثل أول إشارة لهذه التسمية حيث قال "وفي شرقيها مدينة برقة التي كانت قاعدة البلاد البرقية.. ويقال لها اليوم مدينة المرج"[٨].

وقد عرفت المدينة بهذا الاسم لاتساعها وخصوبة أرضها وكثرة مراعيها فالمرج لغة "الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب"[٩] ، وقد وصفها اليعقوبي فقال "ومدينة برقة في مرج واسع"[١٠].

الفتح الإسلامي لبرقة الإقليم وطبيعة أهلها:

بدأت أحداث الفتح الإسلامي لبرقة الإقليم عقب فتح الإسكندرية مباشرة في عام ٢١هـ/٦٤٢م من قبل القائد عقبة بن نافع ، ثم لم يلبث عمرو بن العاص أن توجه إليها في عام ٢٢هـ/٦٤٢م ، وفي ذلك قال ابن عبد الحكم "فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها علي ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية"[١١]. ويحدثنا أيضاً عن أهلها

---

(٤) تقع علي الطريق من درنة إلي بنغازي ، وتبعد عن سهل بنغازي بحوالي مائتي كم ، ومن أبرز معالمها مسجد الزاوية ، ومتحف الآثار ، ضريح الصحابي رويفع بن ثابت ، وقد أقمت بها لسنتين متتاليتين.

(٥) تقع في الطرف الشمالي من سهل بنغازي في المنطقة المعروفة باسم الساحل.
علي سالم لترك: مدينة توكره، الدار العربية للكتاب، ليبيا، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص ص ١٠-١١.

(٦) د. محمد يوسف نجم ، د. احسان عباس: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص٩.

(٧) د. محمد يوسف نجم ، د. احسان عباس: ليبيا ، ص ٨٣.

(٨) د. محمد يوسف نجم ، د. احسان عباس: ليبيا ، ص ٨٢.

(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، مج٥ ، ص١٠٠ ، محمد حسين المرتضي: أهم المعالم الأثرية الإسلامية بمنطقة الجبل الأخضر (مجلة آثار العرب) ، الدار الجماهيرية للنشر ، ليبيا ، العدد الثالث ، ١٩٩١م ، ص٦٦.

(١٠) د. محمد يوسف نجم ، د. إحسان عباس: ليبيا ، ص ٨.

(١١) ابن عبد الحكم (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧هـ/٨٧٠-٨٧١م: فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، ١٩٢٠م ، ص١٧٠، ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، مكتبة النور، طرابلس ، ليبيا، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ، ص ١٢.

من البربر أثناء الفتح فيقول "وتقدمت لواتة[١٢] فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة"[١٣] ، ثم يحدثنا اليعقوبي بشكل أكثر تفصيلاً عن سكانها من العرب والبربر[١٤]. (شكل٢)

ويحدثنا أيضاً ابن عبد الحكم عن عهد عمرو لأهلها فيقول "إن أنطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص"[١٥] ، ويضيف قائلاً عن طبيعة أهلها "ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها"[١٦] ، وفي هذه الطبيعة الطيبة المسالمة التي تميز بها أهل برقة مقارنة بأهل المغرب ككل قال البلاذرى "فكانوا أخصب قوم بالمغرب .. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلاً — أسلم ولا أعزل منها"[١٧].

أهمية برقة كحلقة اتصال بين المشرق والمغرب:

أسهمت برقة الإقليم من خلال موقعها قبل وبعد تشييد القيروان ٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٥م بدور كبير في فتوحات المغربين الأوسط والأقصى ، حيث كانت تمثل حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب من جهة ، ومعبراً للتأثيرات الوافدة من مصر والمشرق الإسلامي بحكم تبعيتها المباشرة للفسطاط إلي بلاد المغرب من جهة أخري ، حيث لجأ إليها زهير بن قيس[١٨] عقب موقعة تهودة في عام ٦٣هـ/٦٨٣-٦٨٤م واستقر بها، ثم انطلق منها في عام ٦٩هـ/٦٨٨-٦٨٩م واستطاع استرداد القيروان ، كما لجأ إليها حسان بن النعمان[١٩] عقب انتصار الكاهنة ملكة البربر عليه ، حيث نزل قصوراً في حيزها عرفت بقصور حسان[٢٠] ، واستقر بها ثم انطلق منها فقضي علي الكاهنة وخلصت له أفريقيا كلها.

---

(١٢) لواته: قبيلة بربرية كانت مقيمة ببرقة وطرابلس.
الناصري (ابو العباس أحمد بن خالد): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، ج١ ، ص ص ٦٠-٦٦ ، أتوري روسى: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ ، ترجمة خليفة محمد التليسى ، الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٦٠.

(١٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص١٧٠.
مزيد من التفاصيل عن سكان ليبيا انظر:
اتوري روسى: ليبيا ، ص ص ٥٨-٦١ ، د. عبد اللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح حتى بداية العصر العثماني ، الجامعة الليبية ، دار صادر ، دار بيروت ، ص ٣٩.

(١٤) د. محمد يوسف نجم ، د. احسان عباس: ليبيا ، ص ٨.

(١٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ١٧٠.

(١٦)ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ص ١٧٠-١٧١.

(١٧) البلاذري (أحمد بن يحيي بن جابر) ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م: فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ق١ ، ص٢٦٤.

(١٨) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ١٨٣. ، د. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص ص ٨٢-٨٣.

(١٩) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ١٨٣. ، د. حسين مؤنس: فتح العرب ، ص ص ٨٢-٨٣.

(٢٠) يحدثنا البلاذري عنها بقولة "وهي قصور يضمها قصر سقوفه أزاج" ويذكرها د. محمد عبد الهادي في القصور الواقعة بين طرابلس وسرت.
البلاذري: فتوح البلدان ، ق١ ، ص٢٧٠ ، د. محمد عبد الهادي شعيرة: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية (ليبيا في التاريخ – المؤتمر التاريخي ١٦-٢٣ مارس ١٩٧٨م). الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، ١٩٦٨، ص٢٤٣.

تدهور المدينة واضمحلالها:

علي الرغم من أن المدينة شهدت أوج ازدهارها في كافة أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال القرون الأربعة الأولي للهجرة كما يتضح في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطي[٢١] ، إلا أنها سرعان ما بدأ تدهورها في أواخر القرن ٤هـ/١٠م ، ثم اضمحل شأنها تماماً في بداية القرن ٥هـ/١١م ، حيث كان لامتداد الفتوحات الإسلامية واستقرارها في المغربين الأوسط والأقصى من جهة ، وظهور مواقع عربية إسلامية أخري عبر طرق القوافل والتي كانت تتجنب بقدر الإمكان مرتفعات الجبال أكبر الأثر في أن تفقد المدينة أهميتها من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، مما أثر بالتالي علي الحياة العمرانية ، وهو الأمر الذي عبر عنه العبدري بما نصه "ليس الآن هناك مدينة تسمي برقة.. وبرقة الآن عند الناس اسم أرض لا اسم مدينة"[٢٢].

عمائر المدينة في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين:

يحدثنا اليعقوبي عن استحكامات المدينة الحربية في العصر العباسي فيقول "وهي مدينة عليها سور وأبواب حديد وخندق ، أمر ببناء السور المتوكل علي الله"[٢٣]. والواقع أن أحكام استحكامات المدينة الحربية خلال تلك الفترة قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتعرضها لهجوم الروم شأنها في ذلك شأن الثغور المصرية[٢٤] التي شهدت هي الأخرى ازدهاراً كبيراً في منشآتها الحربية في ذات الفترة عقب احتلال دمياط في عام ٢٣٨هـ/٨٥٣م ، حيث شيد الخليفة المتوكل حصناً بها في عام ٢٣٩هـ/٨٥٣م. كما شيد حصنين آخرين في الفرما وتنيس ، وقد كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت بالمدينة عن آثار هذه الاستحكامات الحربية العباسية من أسوار وخندق ، حيث تظهر في مناطق مختلفة من المدينة القديمة[٢٥]. (شكل١)

---

(٢١) مزيد من التفاصيل عن برقة الإقليم وبرقة المدينة (المرج حالياً) أنظر:
ابن خرداذبة (أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م: المسالك والممالك (ويليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر) ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص ٨٥، ص ٣٢٢. ،
ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي): كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م ، ص ٦٩.،
الأصطخري (ابي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي): المسالك والممالك ، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، ص ٣٣. ،
المقدسي (شمس الدين بن عبد الله بن محمد البشاري) ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٦م ، ص٢٢٤ ،
البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو) ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م: المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٢م ، جـ٢ ، ص ٦٥٠.
(٢٢) العبدري (أبي عبد الله محمد بن محمد): رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسى ، الرباط ، ١٩٦٨م ، ص ص ٨٧-٨٨.
(٢٣) د. محمد يوسف نجم ، د. احسان عباس: ليبيا ، ص ٨.
(٢٤) المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) ت٨٤٥هـ/١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، جـ١ ، ص ١٨٠.
(25) Abdussaid, Abdulhamid.: Barqa Modern El-Merj, Estratto da "Libya Antiqua", The Department of Antiquities – Tripoli, Vol.VIII, 1971, P. 126.

هذا فيما يتعلق بالعمارة الحربية ، أما فيما يتعلق بالعمارة الدينية فتدل الحفائر الأثرية التي تقدم ذكرها علي أن موقع المسجد الجامع القديم الذي يرجع في اعتقادي إلي عهد عمرو بن العاص كان داخل أسوار المدينة في المساحة الممتدة من موقع المخطوطات المكتشفة إلي موقع الزاوية السنوسية (شكل١). حيث كان من الطبيعي أن يشيد عمرو بن العاص مسجداً جامعاً بالمدينة ومساجد أخري تؤدي فيها الصلوات غير الجامعة علي غرار منشآته الدينية في حاضرة مصر الفسطاط ، خاصة وأن التجاني[٢٦] يذكر لنا مسجدين شيدهما عمرو بن العاص بطرابلس ، يقع أحدهما في الموضع[٢٧] الذي يقوم عليه حالياً مسجد أحمد باشا القرمانللي ١١٥٠هـ/١٧٣٧-١٧٣٨م (شكل٣)، ويقع الآخر[٢٨] بمدينة جنزور إحدي ضواحيها ، كما أشار الحميري[٢٩] إلي مسجد شيده عقبة بن نافع بجبل نفوسة ، كذلك تضم مدينة غدامس[٣٠] مسجداً ينسب إلي عقبة بن نافع.

ضريح الصحابي رويفع بن ثابت:

أشارت المصادر التاريخية ونصوص الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطي إلي ضريح للصحابي رويفع بن ثابت بمدينة المرج ، حيث أورد ابن عبد الحكم في أول إشارة لمكان دفنه "وتوفي رويفع بن ثابت ببرقة و كان قد وليها[٣١]" ، ويتفق ما أورده البكري[٣٢] في القرن ٥هـ/١١م ، وما أورده ياقوت الحموي[٣٣] في القرن ٧هـ/١٣م وما ورد علي لسان ابن عبد الحكم. ويشير التجاني[٣٤] إلي موضعين أحدهما مدينة المرج ، والآخر الشام ويتطابق ما أورده ابن الأثير[٣٥] وما ذكره التجاني. هذا ويشير الحشائشي[٣٦] إلي وفاته بمدينة المرج.

---

(٢٦) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد): رحلة التجاني (تونس – طرابلس ٧٠٦/٧٠٨هـ) ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨١م ، ص ٢٤٥.

(٢٧) اتوري روسي: ليبيا ، ص١٢٢. ، شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤م ، ص ٥٣.

(٢٨) التجاني : رحلة ، ص ص ٢١٤-٢١٥.

(٢٩) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م ، ص ص ٤٧-٤٨.

(٣٠) د. علي مسعود البلوشي وآخرون: موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، أمانة التعليم ، مصلحة الآثار ، ليبيا ، ج٢ ، ص ص ٧٢-٧٣.

(٣١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص١١٠.

(٣٢) البكري: المسالك ، جـ٢ ، ص ٦٥٠.

(٣٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، مج١ ، ص٣٨٨.

(٣٤) التجاني: رحلة ، ص١٢٤.

(٣٥) ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم) ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الشعب ، مج٢ ، ص٢٤٠.

(٣٦) الحشائشي (محمد بن عثمان التونسي): رحلة الحشائشي إلي ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) ، تحقيق علي مصطفي المصراتي ، دار لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٦٥م ، ص ص ١٩٦-١٩٧.

هذا فيما يتعلق بالروايات التاريخية التي تشير في معظمها إلي وفاته بالمرج ، إلا أننا لم نعثر علي ضريح لهذا الصحابي بالمدينة ، بل هناك رواية[٣٧] يتناولها كبار السن من سكان مدينة البيضاء وما حولها ، وتروي عن طريق التواتر تقول: إنه دفن بالبيضاء. وتشتمل هذه المدينة علي ضريح حديث البناء لهذا الصحابي ، ويحتفظ متحف الآثار بالبيضاء بأربع صور لهذا الضريح. (شكل٥) (لوحات ١-٣).

أما فيما يتعلق بمساجد مدينة المرج الباقية فيمكن حصرها في ثلاثة مساجد علي النحو التالي:

مسجد الشيخ حمد الشتيوي ١٢٧٨هـ/١٨٦١م (شكل٦)

الموقع وتاريخ الإنشاء:

يتوسط هذا المسجد مدينة المرج القديمة ، شيده الحاج علي زريبة في عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م أي خلال العهد العثماني الثاني في ليبيا ١١٢٣-١٣٢٩هـ/١٧١١-١٩١١م ، وقد نسب للشيخ حمد الشتيوي الذي عين قيما عليه عند الفراغ من عمارته ، وقد دفن هذا الشيخ في الضريح الملحق به ، والذي يقع في الطرف الشرقي من الجدار الشمالي[٣٨].

حالة المسجد:

جاء في الموسوعة الأثرية الليبية أن المسجد تأثر بزلزال عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، وكان سقفه من الخشب ، ويشتمل بيت الصلاة علي ثلاثة أعمدة وأربعة عقود ، كما كان يوجد به عمودان وثلاثة عقود ، وقد جدد من قبل الدولة والأهالي[٣٩].

ويتضح من خلال الدراسة الميدانية أنه يشتمل حالياً علي بائكة ثلاثية ، أما البائكة الرباعية التي أشارت إليها الموسوعة فقد اندثرت ، وأرجح أنها كانت تقع بين البائكة الثلاثية الحالية وجدار القبلة ، خاصة وأن بيت الصلاة جاء من مساحة أكثر امتداداً من الجهة الشرقية بحيث يتناسب هذا الامتداد ووجود البائكة في هذا الموضع من عمارة المسجد. (شكل٦)

المسجد من الخارج:

الواجهات

يشرف المسجد علي الشارع السالك من خلال واجهة حجرية تقع في الجهة الشمالية الشرقية، وتنقسم إلي قسمين ، يمثل أحدهما واجهة بيت الصلاة ويمتد بمقدار ٩,٠٥م مشتملا علي مدخلين بينهما نافذة ، ويمثل الآخر واجهة ضريح الشيخ حمد الشتيوي ، ويمتد بمقدار ٤,٢٠م مشتملاً علي مدخل يشرف من خلاله الضريح علي الشارع العمومي ، وتقع كتلة المئذنة أعلي الضريح ، كما يشتمل المسجد علي واجهة شمالية غربية تمتد بمقدار ٧,٧٠م مشتملة علي مدخلين بينهما نافذة.

المداخل والفتحات:

---

(٣٧) محمد حسين المرتضي: طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويفع الأنصاري ،مركز الجبل الأخضر ، البيضاء ، ليبيا ، ص١٦٠.

(٣٨) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص ١٣٩.

(٣٩) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص ١٣٩.

تشتمل الواجهة الشمالية الشرقية – كما تقدم – علي مدخلين أحدهما يقع في الطرف الجنوبي منها، وهو غير مستخدم حالياً جاء باتساع ١,١٥م ، وبارتفاع ٢,٢٢م بسمك ٢٠سم ، يتوجه عتب مستقيم . أما الآخر فيقع في الطرف الشمالي من الواجهة يتوصل من خلاله إلي بيت الصلاة ، وقد جاء باتساع ١,١٥م ، وبارتفاع ٢,٣٠م. وقد أوجد المعمار بينهما نافذة يبلغ اتساعها ٨٠سم وارتفاعها ١,٧٥ بسمك ٢٠سم ،أما مدخل الضريح فيتوجه عقد مدبب من مركزين ، ويبلغ اتساعه ٨٠سم بارتفاع ١,٦٠م حتى بداية العقد.

هذا وتشتمل الواجهة الشمالية الغربية أيضاً علي مدخلين يقع أحدهما في الطرف الشرقي منها – وقد سد حديثاً – ويبلغ اتساعه ١,٣٥م ، أما الآخر فيقع في الطرف الغربي – وقد سد حالياً – ويبلغ اتساعه ١,٣٠م ، وقد أوجد المعمار نافذة تتوسط المدخلين جاءت باتساع ٩٥سم ، وارتفاع ١,٥٠م.

هذا و يشتمل المسجد علي فتحتين مربعتين علي جانبي المحراب أسفل سقف بيت الصلاة بواقع فتحة في كل جانب تغشيهما تكوينات زخرفية جصية علي هيئة ورود رباعية.

المسجد من الداخل:

يعد المسجد من طراز المساجد المغطاة أي تلك التي لا تشتمل علي فناء أو دور قاعة مكشوفة ، حيث جاء من مساحة مستطيلة مغطاة تمتد رأسياً من الشمال إلي الجنوب قسمها المعمار إلي قسمين من خلال بائكة ثلاثية ، يقع القسم الأول في الجهة الجنوبية الشرقية ويمثل بيت الصلاة ، وقد جاء من مساحة مستطيلة تمتد أفقياً من الشرق إلي الغرب بمقدار ١٢,٥٠م. ومن الشمال إلي الجنوب بمقدار ٨م ، ويتوسط جدارها الجنوبي الشرقي محراب مجوف يتوجه عقد نصف دائري يرتكز علي كتفين حجريين ، ويزدان في القسم السفلي منه ببلاطات من القاشاني نفذت علي هيئة دالية باللونين الأبيض والأسود ، أما القسم العلوي فقد زخرف بأشكال هندسية علي هيئة معينات باللونين الأبيض والأسود ، وقد فصل الصانع بين القسمين بصف من البلاطات نفذت باللون الأسود، ثم تحدد المحراب من الخارج حلية جصية تعلوها كتابات قرآنية بالخط الثلث ، كما حدد كذلك بإطار مستطيل يزدان بوحدات من عنصر الطبق النجمي عبارة عن تروس وكندات نفذت باللون الأحمر (لوحة٤).

هذا ويسقف بيت الصلاة سقف خشبي من مستويين ، وهو الآن مع أرضية وجدران بيت الصلاة في حالة سيئة ويحتاج إلي ترميم.

أما القسم الثاني من عمارة المسجد فيقع في الجهة الشمالية الغربية ، ويتوصل إليه حالياً من داخل المسجد من خلال بائكة ثلاثية جاءت من عقود نصف دائرية ترتكز في الوسط علي عمودين أسطوانيين وفي الجانبين علي كتفين بارزين (لوحة٥) ، وقد جاء هذا القسم من مساحة مستطيلة تمتد رأسيا من الشمال إلي الجنوب ، وينقسم جدارها الشرقي إلي قسمين أحدهما غائر في سمت الجدران بمقدار ٩٠سم ، ويمثل الجدار الغربي لضريح الشيخ حمد الشتيوي الذي يفتح علي بيت الصلاة من خلال مدخل آخر ، ويمتد هذا القسم الغائر بمقدار ٣م ، أما بقية الجدار فيمتد بمقدار ٥,٢٥م

المئذنة (شكل٧):

تقع مئذنة المسجد في نهاية الواجهة من الجهة الشمالية أعلي الضريح ، وتتكون من طابقين، جاء الأول من أسفل مربعاً من الحجر يتكون من ثلاثين مدماكا ، ويزدان هذا الطابق بمستويين من الفتحات في الواجهة الشرقية ، المستوي الأول من فتحتين مستطيلتين متماثلتين يتوجهما عقد ثلاثي ، ويتوسطهما عمود أسطواني ، وتعلوهما فتحة علي هيئة مثلثة ، وتماثل

فتحات المستوي الثاني في بقية أضلاع القاعدة تلك التي في المستوي الأول ، وينتهي هذا الطابق بشرفة أذان ذات درابزين حديدي ، وهي مربعة المسقط ترتكز علي صف من المقرنصات.

ويبدأ الطابق الثاني من أرضية الشرفة ، حيث جاء مربعا على غرار القاعدة ، إلا أنه جاء مشطوفاً في أركانه ، وقد فتح المعمار في كل ضلع من أضلاعه المقابلة للجهات الأصلية فتحة مستطيلة يتوجها عقد مدبب حدوي ، ثم ينتهي الطابق بقمة مخروطية عثمانية.

جامع المدينة أواخر القرن ١٣هـ/١٩م

الموقع وتاريخ الإنشاء:

يشرف هذا المسجد من خلال واجهته العمومية علي شارع المدينة ، وقد شيد علي بقعة من الأرض أوقفها صاحبها صالح التركي علي الشيخ سعد البناني الذي شيده في أواخر القرن ١٣هـ/١٩م و قد جدد المسجد في عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م علي يد الحاج عبد الله بوعوينة[٤٠].

حالة المسجد:

تذكر الموسوعة الأثرية الليبية[٤١] أن الواجهة العمومية كانت تشتمل علي مدخلين ونافذتين ، كما أن الواجهة الشمالية كانت تشتمل علي مدخل يتوجه عقد نصف دائري تحيط به نافدتان ، ويغطي المسجد سقف أسمنتي ، والواقع أنه من خلال الدراسة الميدانية يتضح اندثار معظم هذه العناصر المعمارية من جهة ، ووجود بعض الإضافات الحديثة من جهة أخري.

المسجد من الخارج

الواجهات ومشتملاتها المندثرة والباقية:

يشرف المسجد حالياً علي شارع المدينة من خلال واجهة حجرية غطيت بطبقة من الملاط ، وهي في حالة سيئة للغاية نتيجة تأثر المسجد من الزلزال الذي تقدم ذكره ، وتمتد الواجهة في قسمها الجنوبي بمقدار ٥,٩٠م ، أما القسم الشمالي منها فيمتد بمقدار ١٠,٠٨م ، وقد تصدعت أحجار القسم الأخير (لوحة٦) ، ويبلغ ارتفاعها عن مستوي الأرض ٢,٦٠م ، بسمك ٥٠سم ، ويشتمل هذا القسم من الواجهة علي مدخل يتوجه عتب مستقيم ، جاء بارتفاع ٢,٥٠م (لوحة٦) ، وقد فقدت الواجهة امتدادها من الجهة الشمالية ، وكانت في الأصل – كما تذكر الموسوعة – تشتمل علي بابين ونافذتين ، وتضيف أن المسجد كان يشتمل علي واجهة شمالية غربية أوجد بها المعمار مدخلاً ونافذتين ، وقد اندثر هذا القسم من عمارة المسجد وحلت محله الآن ميضأة حديثة (لوحة٧).

المسجد من الداخل:

يتضح من الصورة القديمة التي جاءت في الموسوعة الأثرية الليبية أن المسجد يتبع طراز المساجد المغلقة شأنه في ذلك شأن مسجد حمد الشتيوي ، حيث جاء من مساحة مستطيلة مغطاة تمتد رأسياً من الشمال إلي الجنوب ، تشتمل في داخلها علي أربع دعائم

---

(٤٠) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص١٤٢.

(٤١) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص ص ١٤٢-١٤٣.

وزعت بحيث تقسم المسجد إلي ثلاث بلاطات تمتد من الشمال إلي الجنوب عمودية علي جدار القبلة ، ويرتكز السقف علي كمرتين ترتكزان بدورهما علي الدعامات.

وقد تهدم المسجد تماماً بفعل الزلزال بحيث لم يتبق من عمارته سوي بعض جدرانه الخارجية التي تحدد تقريباً مساحته ، ويعد جدار القبلة أهم هذه الجدران ، ويمتد بمقدار ١٢م ، ويرتفع بمقدار ٤,١٠م يتوسطه محراب مجوف سد حديثاً بمداميك أسمنتية ، يتوجه عقد نصف دائري يرتكز علي كتفين حجريين (لوحة٨) ، (شكل٩) ، وقد جاء المحراب باتساع ١م ، وارتفاع ٢,٨٠م ، وقد أوجد المعمار نافذتين متماثلتين علي جانبيه بواقع نافذة في كل جانب تغشيهما مصبعات حديدية تشكل مربعات ومستطيلات باتساع ٩٠سم ، وارتفاع ١,٥٠م ، بسمك ٢٠سم.

أما فيما يتعلق بالجدار الغربي فهو في حالة سيئة ويتضح من فحصه أنه كان يشتمل علي فتحة مدخل سدت حالياً ، وقد شيد القسم الجنوبي منه حديثاً بمداميك أسمنتية ، ويمتد بمقدار ٢,٧٠م وبارتفاع ٢,٥٥م (لوحة٩).

أما القسم الشمالي منه فيشتمل علي بائكة ثلاثية من عقود نصف دائرية ترتكز علي أكتاف مستطيلة ، وقد سدت هذه الفتحات حديثاً بالحجر (لوحة١٠) ، وتنتهي هذه البائكة بجدار مصمت شيد من أحجار غير منتظمة يمتد بمقدار ٦م ، ثم نجد جداراً آخر يمتد داخل المسجد بمقدار ٤م وهو من الإضافات الحديثة مع الميضأة (لوحة١١). هذا ويشتمل المسجد في داخله علي سلم حجري ملاصق لجدار الواجهة من الداخل يتكون من أربع عشرة درجة (لوحة٦) ، كما يشتمل علي صهريج لتجميع مياه الأمطار (لوحة١٢).

مسجد الزاوية أواخر القرن ١٣هـ/١٩م (شكل١٠)

الموقع وتاريخ الإنشاء:

يقع هذا المسجد داخل أسوار المدينة القديمة بالقرب من موقع الحفائر التي تقدم ذكرها ، شيده المبروك الجزائري في أواخر القرن ١٣هـ/١٩م ، ثم جدد سقفه في عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ، ثم جدد مرة أخري من قبل الأوقاف بعد زلزال عام ١٣٩٣هـ/١٩٦٣م[٤٢].

ويتميز هذا المسجد عن المسجدين السابقين بسمتين ، الأولي في معرفة مسقطه الأفقي القديم قبل الزلزال (شكل١٠) ، وتتمثل الثانية فيما عثر عليه من كتابات كوفية فاطمية رائعة في محرابه سجل عليها اسم الخليفة الفاطمي المعز الدين الله مما يلقي مزيداً من الضوء علي ليبيا في العصر الفاطمي[٤٣]. (شكل١١)

المسجد من الخارج:

الواجهات ومشتملاتها من مداخل ونوافذ وفتحات:

يشتمل المسجد من خلال المسقط الأفقي علي ثلاث واجهات في الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية ، وتمثل الواجهة الشمالية الغربية الواجهة العمومية ، تتقدمها سقيفة ، وتشتمل هذه الواجهات علي أربعة مداخل ، يقع الأول منها في

---

(٤٢) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص١٤٥.

(٤٣) مزيد من التفاصيل عن ليبيا في العصر الفاطمي انظر:

Hamdani, Abbas: Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period , University of Libya, Faculty of Arts, Libya in History, Historical Conference 16-23 March, 1968, PP3-21.

وسط الجدار الشمالي الغربي علي محور المحراب ، حيث يتوسط البلاطة الوسطي التي تفضي إلي المحراب مباشرة ، ويقع الثاني في وسط الجدار الجنوبي الغربي ، يتوجه عقد نصف دائري ، أما المدخل الثاني فيقع في الطرف الجنوبي من الجدار الغربي ، وهو يماثل في تصميمه المدخل الثاني (شكل١٠) ، أما المدخل الرابع فيقع في امتداد الجدار الغربي من جهته الشمالية ، ويماثل في تصميمه مدخلي المسجد في الجدارين الشرقي والغربي.هذا وتشتمل الواجهات علي ست نوافذ في الجهات التي تقدم ذكرها بواقع نافذتين في كل جدار ، وهي في الجدارين الشرقي والغربي ليست علي محور واحد ، حيث أوجد المعمار نافذتي الجدار الغربي علي جانبي المدخل بحيث تفتح إحداهما علي البلاطة الأولي جهة المحراب ، وتفتح الثانية علي البلاطة الخامسة ، وهما متماثلتان من حيث الموقع والتصميم ، أما فيما يتعلق بنافذتي الجدار الشرقي فتفتح إحداهما علي البلاطة الثانية ، وتفتح الأخرى علي البلاطة الرابعة ، ويشتمل الجدار الغربي علي نافذتين أوجدهما المعمار علي جانبي المحراب بواقع نافذة في كل جانب ، وهما متماثلتان في الموقع والتصميم.

هذا وقد أوجد المعمار فتحة نافذة تعلو المحراب ، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن المداخل والنوافذ قد وزعت من قبل المعمار توزيعاً هندسياً دقيقاً يتناسب والغرض الوظيفي الذي شيدت من أجله وهو الإضاءة والتهوية لتعويض عنصر عدم وجود الصحن في هذا الطراز من عمارة المسجد.

المسجد من الداخل:

يتبع المسجد طراز المساجد المغلقة شأنه في ذلك شأن طراز مسجدي حمد الشتيوي والمدينة، حيث جاء من مساحة مستطيلة مغطاة تمتد أفقياً من الشرق إلي الغرب قسمها المعمار إلي خمس بلاطات متساوية في العمق والاتساع ، تفصلها خمس بائكات ، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلي الغرب موازية لجدار القبلة ، وقد جاءت هذه البائكات من أعمدة أسطوانية قصيرة ترتكز عليها عقود نصف دائرية ، وتتكون كل بائكة من أربعة أعمدة ودعامتين مستطيلتين مدمجتين في الجدارين الشرقي والغربي بواقع دعامة في كل جدار. (شكل١٠)

ويتضح من خلال توزيع الدعامات والأعمدة أن المعمار قد راعي التناسق والتناغم في توزيعها بحيث جاءت جميع بلاطات المسجد سواء في مساحاتها الموازية أو الغمودية متساوية وفقاً لتصميم هندسي دقيق.

ويتوسط المحراب جدار القبلة ، وهو مجوف يتوجه عقد حدوي يرتكز علي عمودين أسطوانيين.

هذا وتتقدم المسجد في الجهة الشمالية الغربية سقيفة يتوصل منها إلي المدخل الشمالي الغربي. وهي مستطيلة تفتح علي الخارج من خلال بائكة ثلاثية ، كما تشتمل في الطرف الغربي منها علي قاعة مستطيلة تمثل بقية امتدادها.

الكتابات الكوفية:

عثر خلال تجديد المسجد عقب الزلزال علي جزأين من عمود رخامي يرجع إلي العصر الفاطمي أعيد استخدامه في عضادتي المحراب ، ويحمل كل منهما شريطاً من كتابة

كوفية بارزة نفذت بالخط الكوفي المورق ، جاء علي أحدهما ذكر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[٤٤].

وتتفق هذه الكتابات مع مثيلاتها في الجامع الأزهر في مرحلته الأولي والتي ترجع إلي عهد الخليفة المعز لدين الله ، وهي الكتابات التي وجدت في عقدي محراب المسجد. وفي عقود البلاطة الوسطي العمودية علي المحراب (المجاز القاطع).

السمات العامة و الدراسة المقارنة:

مادة البناء:

كانت مدينة المرج تعرف ببرقة الحمراء بسبب لون تربتها وعمائرها ، فقد أورد البكري ما نصه "ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة والمباني.."[٤٥] ، وتتكون التربة الحمراء فوق الصخور الجيرية. هذا وقد شيدت المساجد موضوع البحث بمادة الحجر الجيري التي توافرت بمدينة المرج كما تقدم.

التخطيط:

يتضح من العرض السابق أن مساجد مدينة المرج (أشكال ٦، ٨، ١٠) قد عرفت طرازا واحداً من طرز تخطيط المسجد في العالم الإسلامي ، وهو طراز المساجد المغطاة أو المغلقة أي تلك التي لا تشتمل علي فناء مكشوف سواء كان كبيراً أم صغيراً ، وهو الطراز الذي انتشر في معظم المنطقة الشرقية من ليبيا ، حيث وجد في مسجد الزاوية السنوسية بمدينة البيضاء[٤٦] ، وفي المسجد الجامع العتيق بمدينة درنة ، وقد جاء هذا الطراز نتيجة لمؤثرات بيئية حيث غطي المسجد بكامله بسبب الأمطار والبرودة القارسة ، خاصة في فصل الشتاء ، ثم قام المعمار بمعالجة عدم وجود الصحن في هذا الطراز من خلال تعدد النوافذ والمداخل والفتحات وتوزيعها توزيعاً يتلاءم والغرض الوظيفي لها ، والواقع أنه وفق توفيقاً عظيماً في هذه المعالجة. وهو الأمر الذي سوف أتحدث عنه لاحقاً. هذا وقد عرف هذا الطراز وانتشر علي نطاق واسع في آسيا الصغرى بفعل العوامل البيئية ، حيث أنشأ سلاجقة الأناضول[٤٧] العديد من نماذج هذا الطراز أذكر منها علي سبيل المثال المسجد الجامع في سيرت[٤٨] ٥٢٣هـ/١٣٢٩م (شكل١٢) ، ومسجد بتليس[٤٩] قبل عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م

---

(44) **Hamilton, James.: Wanderings in North Africa, London, 1956, PP. 188-189. , Abdussaid, A.: Barqa, P. 126.**

(٤٥) البكري: المسالك ، جـ٢ ، ص ٦٥٠.

تعد التربة الحمراء من أهم الترب المميزة لمنطقة شمال بنغازي ، وتوجد بصفة خاصة في كل إقليم البحر المتوسط ، وخاصة فوق طبقات الصخور الجيرية.

د. سالم علي الحجاجي : ليبيا الجديدة دراسة جغرافية ، اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ١٩٨٩م ، ص٤٤.

(٤٦) هذه المقارنة من واقع الزيارة الميدانية إلا إنني لم أتمكن من تصويره لظروف خارجة عن إرادتي.

(٤٧) مزيد من التفاصيل عن سلاجقة الأناضول انظر:

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي. (١١جزء) ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، جـ٨ ، ص٥٠. ،

Goodwin, G: A History of Ottoman Architecture, London, 1971, PP 9-15., Turkey, London, 1987, P.237.

(48) **Bates, ülk ü.: Architecture, Turkish Art, Edited by Esin Atil, Washington, New York, 1980, P.48.**

(شكل١٣) ، ومسجد ميافارقين[٥٠] ٥٤٧-٥٥١هـ/١١٥٢-١١٥٧م (شكل ١٤). ومسجد كولوك[٥١] بقيصري قبل عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م (شكل١٥) وغير ذلك. هذا وقد عرفت المنطقة الغربية من ليبيا طرازاً آخر يتمثل في تخطيط المساجد ذات الأقبية ، حيث ترتفع درجة الحرارة مقارنة بالمنطقة الشرقية ، ومن المساجد التي تتبع هذا الطراز علي سبيل المثال بمدينة طرابلس القديمة جامع الناقة ١٠١٩هـ/١٦١٠م (شكل١٦) ، وجامع الشيخ سالم المشاط ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م (شكل١٧) ، وجامع الدباغ ١٠٨١هـ/١٧٠٩م (شكل١٨) وقد نوع المعمار في أسلوب مسار البلاطات ، حيث وجدت في المساجد موضوع البحث وفقاً لنمطين: الأول تمتد فيه البلاطات عمودية علي جدار القبلة كما هو الحال في مسجد المدينة(شكل٨) ويتوافق امتداد البلاطات هنا وامتداد المسجد بشكل رأسي من الشمال إلي الجنوب ، أما النمط الثاني فتمتد فيه البلاطات والبائكات من الشرق إلي الغرب موازية لجدار القبلة كما هو الحال في مسجدي حمد الشتيوي (شكل٦) والزاوية (شكل١٠). والواقع أنه من خلال دراسة بعض نماذج من عمارة المسجد الليبي نجد أنها جمعت ثلاثة أنماط لأسلوب امتداد البلاطات والبائكات ، يتمثل الأول في امتدادها موازية لجدار القبلة كما هو الحال علي سبيل المثال في جامع الناقة بطرابلس ١٠١٩هـ/١٦١٠م (شكل١٦). ويتمثل الثاني في امتدادها عمودية علي جدار القبلة كما هو الحال – علي سبيل المثال – في مسجد الشيخ عبد الوهاب بطرابلس حوالي ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م (شكل١٩). أما النمط الثالث فتمتد فيه موازية وعمودية في آن واحد كما هو الحال – علي سبيل المثال – في جامع درغوت باشا بطرابلس ٩٧٢هـ/١٥٦٥م (شكل٢٠).

التغطيات:

نوع المعمار في أسلوب التغطية بالنسبة للمساجد موضوع البحث ، حيث وجدت الأسقف المسطحة ترتكز علي دعامات مباشرة كما في مسجد المدينة ، أو علي بائكات كما في مسجد حمد الشتيوي ،كما وجدت الأقبية البرميلية و القباب ترتكز علي بائكات كما في مسجد الزاوية ، وبمقارنة أسلوب التغطية هنا بمثيله في مدينتي البيضاء ودرنة نجد أن عنصر الأقبية البرميلية قد استخدم في تغطية مسجد الزاوية بمدينة البيضاء و الواقع أن البكري قد أمدنا بنص بالغ الأهمية يتعلق بأسلوب التغطية المعتمد علي الأقبية في عمائر مدينة أجدابية إحدى مدن إقليم برقة ، حيث قال " و ليس لمباني مدينة أجدابية سقوف خشب إنما هي أقباء طوب لكثرة رياحها و دوام هبوبها"[٥٢]،وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه استخدام عنصر القبو في التغطية في العمائر الليبية في القرن ٥هـ/١١م وربما قبل ذلك ، وتكمن أهمية نص البكري في أن هذا الأسلوب في التغطية جاء نتيجة لمؤثرات بيئية تمثلت في العامل المناخي السائد في المنطقة الشرقية من ليبيا أو في ولاية برقة. أما المسجد الجامع العتيق بدرنة فيعتمد بشكل رئيسي علي عنصر القبة.

---

(49) **Kuran, A.: L'Architecture seldjo ukids en Anatolie, L'Art en Turquie, Officedu liver, 1981, P.88.**

(50) **Voget, Göknil, u.: Grands Courants de L'Architecture Islamique, Mosquée, , Chêne, 1975, PP. 142-143.**

(٥١) أوقطاي أصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسي ، الطبعة الأولي ، إستانبول ، ١٩٨٧م، ص٣٢.

(٥٢) البكري : المسالك ، جـ٢ ، ص٦٥١.

وقد جمعت عمارة المسجد الليبي بشكل عام كافة أساليب التغطية من أسقف مسطحة وأقبية وقباب ، وتعد القبة من أهم خصائص المساجد القائمة حالياً في ليبيا سواء تلك التي ترجع إلي فترة ما قبل ٩٥٨هـ/١٥٥١م أي قبل العصر العثماني أو تلك التي ترجع إلي العصر العثماني بعهديه الأول ٩٥٨-١١٢٣هـ/١٥٥١-١٧١١م والثاني ١١٢٣-١٣٢٩هـ/١٧١١-١٩١١م ، وهي المساجد التي تغطي بيت الصلاة فيها إما قبة واحدة كما في مسجد قنابة[٥٣] بطرابلس القرن ١١هـ/١٧م ، أو أربع قباب كما هو في مسجدي النخلي ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م (شكل٢١) ومحمود ١٠٩١هـ/١٦٨٠م (شكل٢٢) بطرابلس ، أو ست قباب كما في مسجد بن صوان بطرابلس القرن ١١هـ/١٧م أو (شكل٢٣) ، أو تسع قباب كما في مسجد الشيخ الحطاب[٥٤] القرن ١١هـ/١٧م أو أثنتا عشرة قبة كما في جامع خليل[٥٥] باشا ١١٢٠هـ/١٧٠٨م ، أو ست عشرة قبة كما في مسجد شائب العين ١١١٠هـ/١٦٩٨-١٦٩٩م (شكل ٢٤).

هذا وتعد الأقبية البرميلية أيضاً من أهم خصائص المساجد القائمة حالياً في ليبيا ، وأذكر من المساجد التي اتبعت هذا الأسلوب في التغطية علي سبيل المثال جامع الشيخ عبد الوهاب بطرابلس حوالي ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م (شكل١٩). وقد جمعت بعض المساجد في تغطيتها ما بين الأقبية البرميلية والقباب كما في جامع درغوت باشا ٩٧٢هـ/١٥٦٥م (شكل٢٠) ، كذلك جمعت بعض المساجد في تغطيتها بين القباب والأقبية والأسقف المسطحة كما في مسجد عبد الواحد الدوكالي بمسلاته. (شكل٢٥)

الأعمدة والعقود:

ترتكز التغطيات جميعاً فيما عدا أسلوب تغطية مسجد المدينة علي مجموعة من العقود التي ترتكز بدورها علي أعمدة أو دعامات من جهة ، ودعامات ساندة مدمجة بجدران ظلة القبلة من جهة أخري ، هذا التصميم المعماري من الداخل والمكون للهيكل البنائي بصفة عامة ، يميز معظم المساجد الليبية التي شيدت سواء قبل أو خلال أو بعد العصر العثماني.

والواقع أن عنصر الأعمدة يعد من أهم عناصر التشكيل الداخلي في مختلف عمائر ليبيا الدينية سواء في المنطقة الشرقية أو الغربية. إذا كان لطبيعة التخطيط الذي تقدم ذكره من بوائك العقود التي تمتد موازية أو عمودية أو موازية وعمودية في آن واحد أثره في الإقبال علي استخدام الأعمدة لترتكز عليها العقود . وقد عرفت مدينة المرج شأنها في ذلك شأن بقية البلاد الليبية نوعاً واحدا من أبدان الأعمدة وهو البدن الأسطواني ، وهي أعمدة تتسم بقصرها ، وهي ظاهرة تميزت بها عمائر شمال أفريقيا والأندلس ، ومن أمثلتها في عمائر الأندلس أعمدة مسجد الدباغين[٥٦] في طليطلة القرن ٧هـ/١٣م.

---

(٥٣) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ١ ، ص ص ١٣٢-١٣٣.

(٥٤) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ١ ، ص٥٥.

(٥٥) د. صلاح أحمد البهنسي: العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول (٩٥٨-١١٢٣هـ/١٥٥١-١٧١١م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣-١٩٩٤م ، جـ١ ، ص١٩٦.

(٥٦) جوميث مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، د. لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص٢٥٢.

أما فيما يتعلق بالعقود فإنه من خلال استعراض مساجد المرج نجد أن مسجد المدينة قد خلا من هذا العنصر, حيث ارتفعت الدعامات بقدر يتناسب والارتفاع الطبيعي للسقف ، بينما استخدم في مسجدي حمد الشتيوي والزاوية ، وهي عقود نصف دائرية.

هذا وقد عرفت العمارة الليبية نوعاً آخر من العقود انتشر انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي، خاصة في شمال أفريقيا والأندلس ، وهو العقد الحدوي بأنواعه المنفوخ ، أو المتجاوز ، والمستدير، والمدبب ، وقد استخدم بشكل كبير في المحاريب الليبية ، خاصة من النوع المستدير ، ويعد من التأثيرات المغربية الوافدة علي العمارة الليبية ، وقد وجد في مئذنة مسجد حمد الشتيوي ، وفي محراب مسجد الزاوية[٥٧] ، كما نجده في محراب مسجد الزاوية السنوسية بمدينة البيضاء ، وفي محراب المسجد العتيق بدرنة. (لوحة١٣).

المداخل والنوافذ والفتحات:

تعد مداخل المساجد من أهم العناصر المعمارية التي خضع توزيعها بشكل رئيسي للتأثيرات العقائدية ، حيث خططت المداخل علي المساقط الأفقية للمساجد من خلال منظور عقائدي تمثل في كراهية المرور بين يدي المصلين أو بين صفوف المصلين أو أمامهم ، ومن هنا قام المعمار بتخطيطها وفقاً لقواعد معينة تتفق مع المطلب العقائدي لها[٥٨].

وقد راعي المعمار الليبي عند توزيعه فتحات المداخل في المساجد موضوع البحث أن لا تؤدي مساراتها الداخلية إلي قطع صف أو المرور أمام صفوف المصلين ، ومن أهم القواعد التي راعاها الإعراض عن فتح مداخل رئيسية أو فرعية في جهة جدار القبلة والاكتفاء بتوزيع مداخل المساجد علي ثلاث جهات هي الشمالية والشرقية والغربية ، ويتميز المدخل الشمالي بأنه يقع علي محور المحراب ، وقد فتحت هذه المداخل بشكل مباشر وليس منكسراً.

كما راعي المعمار حاجة هذه المساجد إلي عنصري الإضاءة والتهوية خاصة وأنها تتبع الطراز المغطي أو المغلق بفعل المؤثرات البيئية المتمثلة في العامل الجغرافي ، حيث الأمطار الغزيرة والبرودة القارسة كما تقدم فقام بتوزيع فتحاتها بشكل متناغم يتلاءم والغوض الوظيفي لها فوفق توفيقاً عظيماً في هذه المعالجة.

هذا وقد تنوعت هذه الفتحات ما بين مداخل ونوافذ وفتحات ، كما تعددت هذه الفتحات في المساجد موضوع البحث ، حيث اشتمل مسجد حمد الشتيوي (شكل٦) علي أربعة مداخل ونافذتين في الجدارين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي ، كما اشتمل علي فتحتين أعلي المحراب ، أما مسجد المدينة (شكل٨) فقد اشتمل علي ثلاثة مداخل وأربع نوافذ في الجدارين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي أيضاً ، كما أشتمل علي نافذتين في الجدار الجنوبي الشرقي ، أما مسجد الزاوية (شكل١٠) فقد اشتمل علي أربعة مداخل وست نوافذ في

---

(57) **Abdussaid, A.: Barqa, P. 124.**

(٥٨) يذكر د. محمد محمد الكحلاوي بعض الأحاديث في هذا الصدد منها قوله – صلي الله عليه وسلم – "إذا صلي أحدكم إلي شئ ستره من الناس ، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه ، فليدفعه فإن أبي فيقاتله ، فإنما هو الشيطان" وقوله – صلي الله عليه وسلم – "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه".

مزيد من التفاصيل انظر:

د. محمد محمد الكحلاوي: القيم الدينية و أثرها في تخطيط عمارة المساجد(بحوث في الآثار الإسلامية في المغرب والأندلس)، القاهرة ، ١٩٩٩م، جـ١ ، ص ٧٣.

الجهات الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية ، كما اشتمل علي فتحة تعلو المحراب ، والواقع أن هذا التعدد قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بطراز هذه المساجد ، حيث أوجدها المعمار كما تقدم للمواءمة بين العوامل البيئية ومتطلبات العمارة من التهوية والإضاءة ، وقام بتوزيعها بشكل متناغم يحقق الغرض الوظيفي لها من جهة ، والرؤية الجمالية من جهة أخري ، ونري قمة هذا التناغم في مسجد الزاوية ، حيث قام المعمار بعمل ثلاثة مداخل وست نوافذ ، وقام بتوزيعها علي بلاطات المسجد توزيعاً هندسياً فنياً رائعاً بحيث تفتح أربعة نوافذ في الجدارين الشرقي والغربي على أربع بلاطات من خمس بواقع نافذة علي كل بلاطة ثم يفتح مدخل الجدار الغربي علي البلاطة الخامسة ، أما بقية النوافذ فهي بالجدار الشمالي الغربي ، وهي تحقق مع مدخل هذا الجدار عنصري الإضاءة والتهوية لمؤخر المسجد والبلاطات الطولية ، أما الفتحة أعلي المحراب فهي تحقق مع النافذة التي تفتح علي البلاطة الأولي ومدخل الجدار الغربي عنصري الإضاءة والتهوية لمقدم المسجد وتتميز البلاطة الأولي لأهميتها باشتمالها علي فتحتين متقابلتين إحداهما نافذة بالجدار الغربي والأخرى فتحة مدخل في الجدار الشرقي. وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه مدي التوفيق من قبل المعمار في المواءمة بين المؤثرات البيئية ومتطلبات العمارة.

المئذنة: (شكل٧)

لم تصل إلينا من مآذن مساجد المرج سوي مئذنة مسجد حمد الشتيوي ، والتي جاء تكوينها المعماري من طابقين تعلوهما قمة مخروطية عثمانية ، وقام المعمار بشطف أركان الطابق العلوي وقد راعي المعمار موقعها بحيث تشرف علي الشارع العمومي والمنطقة ذات الكثافة السكانية فوضعها ضمن مكونات الواجهة العمومية حتى تكون أبلغ في تأدية الوظيفة التي شيدت من أجلها وهي إبلاغ الآذان وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة ، وبصفة عامة فإن عمارة المسجد الليبي قد عرفت عدة طرز لتكوينها المعماري ، جاء الطراز الأول من تكوين مربع من أسفله إلي أعلاه شأنه في ذلك شأن معظم الصوامع المغربية ، أما الطراز الثاني فقد جاء من تكوين عرف بالمئذنة السلم[٥٩] ، ويمثل هذا الطراز التكوين الأكثر شيوعاً من قبل المعمار الليبي خاصة في منطقتي فزان وبرقة ، وانتشر نوع آخر من هذا الطراز يعد أكثر تطوراً في طرابلس وضواحيها ، حيث أضاف المعمار مئذنة مربعة صغيرة إلي المئذنة السلم يتوصل إليها من خلال مدخل يفضي بدوره إلي سلمها[٦٠].

ويذكر د. علي مسعود أن طراز المآذن الأسطوانية كما في مئذنتي درغوت باشا والشيخ سالم المشاط ، وطراز المآذن المثمنة كما في شائب العين ظهرت في معمار المسجد الليبي في العصر العثماني فقط[٦١].

والواقع أن ليبيا عرفت المآذن المثمنة في القرن ٥هـ/١١م أو ربما قبل ذلك ، حيث يحدثنا البكري عند ذكره أجدابية بما نصه "وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله ، له صومعة مثمنة بديعة العمل"[٦٢].

---

(59) **Schacht, Joseph.: Ein Archaischen Minaret –Type in Agypten und Anato lien. Ars Islamica, Michigan, 1938, Pl. U. 1 Ann.**

(٦٠) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص١٦.

(٦١) د. علي مسعود: موسوعة ، جـ٢ ، ص١٦.

(٦٢) البكري: المسالك ، جـ٢ ، ص٦٥١.

كما يحدثنا التجاني عن طراز معماري آخر يجمع بين البدن الأسطواني والمسدس وذلك عند ذكره جامع طرابلس الأعظم بما نصه ".. وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض علي أعمدة مستديرة فلما تم نصفه كذلك سدس"(٦٣).

وتحتفظ ليبيا بمئذنة ذات بدن مسدس المسقط أعلي قاعدة مربعة ترجع إلي العهد العثماني الأول ، وهي مئذنة مسجد ابن سليمان(٦٤) من القرن ١١هـ/١٧م.

وبصفة عامة فإنه من الواضح أن فلسفة بنائي المساجد الليبية ، خاصة في المنطقة الشرقية من ليبيا هي البساطة في البناء والخلو من الزخرفة ، حيث نظر المعمار إلي تخطيط وتنفيذ المسجد خلال تلك الفترة علي أنه شيد لغرض وظيفي بحت ، وهو الأمر الذي نتج عنه عدم التأنق فيه من الناحيتين المعمارية والزخرفية ، وهو ما نلحظه جلياً فيما تبقي من مساجد بمدينة المرج خلال العهد العثماني الثاني.

الخاتمة :

اهتم موضوع هذا البحث بعمل دراسة أثرية معمارية لمساجد مدينة المرج (برقة قديما) بالجماهيرية الليبية. وهي أول دراسة متخصصة تتناول تخطيط هذه المساجد وعناصرها المعمارية والزخرفية في ضوء المؤثرات البيئية من جهة ، والدراسات المقارنة مع مثيلاتها في مواقع المنطقة الشرقية من ليبيا بشكل خاص ، وبقية أرجاء ليبيا بشكل عام من جهة أخري.

هذا وقد اهتم موضوع البحث أيضاً بعمل دراسة تناولت المدينة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية ، حيث ألقي البحث الضوء علي موقعها وأهميته في نموها وازدهارها ، كما ألقي الضوء علي الأسماء التي عرفت بها خاصة اسم المرج الذي لزمها حتى اليوم ، وقد اقتضى هذا الأمر دراسة واسعة ومستفيضة في المصادر التاريخية وكتب الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطي ، كذلك ألقي الضوء علي أهميتها كحلقة اتصال بين الشرق والغرب ودورها الكبير في فتوحات المغربين الأوسط والأقصى واستقرار هذه الفتوحات قبل وبعد تشييد القيروان.

هذا وقد تناول البحث منشآتها التي ذكرتها المصادر التاريخية وكتب الجغرافيين والرحالة المسلمين والتي كشفت الحفائر الأثرية عن كثير منها ، وهي المنشآت التي تنوعت ما بين استحكامات حربية ومنشآت دينية ، ثم تناول البحث بداية تدهور المدينة واضمحلالها والأسباب التي أدت إلي ذلك.

أما فيما يتعلق بالدراسة الأثرية المعمارية فقد تناول البحث من خلال دراسة ميدانية تسجيلية ثلاثة مساجد هي الشيخ حمد الشتيوي والمدينة والزاوية ، وقد تم توصيفها ورفعها رفعاً معمارياً ، ثم تصويرها في دراسة تفصيلية تعد الأولي من نوعها للمدينة ، ثم تناول البحث السمات العامة المميزة لمساجد مدينة المرج ، وهي الدراسة التي شملت مادة البناء ، والتخطيط ، والتغطيات ، والأعمدة والعقود ، والواجهات بما تشتمل عليه من مداخل ونوافذ وفتحات ، والمآذن. وأخيراً قام البحث بعمل دراسة مقارنة بين هذه المساجد ومثيلاتها في داخل وخارج الجماهيرية لحصر التأثيرات الوافدة.

---

(٦٣) التجاني: رحلة ، ص٢٥٣.

(٦٤) د. صلاح البهنسي: العمارة الدينية، ص٢٣٢ ، لوحة ٦٦.

الأشكال:

شكل(١) مدينة المرج القديمة عن عبد الحميد عبد السيد.
شكل(٢) سكان ليبيا عند اليعقوبي عن د. عبد القادر أحمد طليمات.
شكل(٣) مسقط أفقي لمسجد أحمد باشا بطرابلس عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٤) البقايا القديمة بمسجد عقبة بن نافع بغدامس عن الموسوعُة (الجزء الثاني).
شكل(٥) مدينة البيضاء عن د. محمد حسين المرتضي.
شكل(٦) مسقط أفقي لمسجد الشيخ حمد الشتيوي. (عمل الباحث)
شكل(٧) منظور لواجهة مسجد حمد الشتيوى العمومية. (عمل الباحث)
شكل(٨) مسقط أفقي لمسجد المدينة. (عمل الباحث)
شكل(٩) قطاع لجدار القبلة بمسجد المدينة. (عمل الباحث)
شكل(١٠) مسقط أفقي لمسجد الزاوية. عن عبد الحميد عبد السيد
شكل(١١) كتابات كوفية من مسجد الزاوية عن عبد الحميد عبد السيد
شكل(١٢) مسقط أفقي لمسجد سيرت عن أصلان آبا.
شكل(١٣) مسقط أفقي لمسجد بتليس عن أصلان آبا .
شكل(١٤) مسقط أفقي لمسجد ميافارقين عن أصلان آبا.
شكل(١٥) مسقط أفقي لمسجد كولوك عن أصلان آبا.
شكل(١٦) مسقط أفقي لجامع الناقة عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(١٧) مسقط أفقي لجامع سالم المشاط عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(١٨) مسقط أفقي لجامع الدباغ عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(١٩) مسقط أفقي لجامع الشيخ عبد الوهاب عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٢٠) مسقط أفقي لجامع درغوت باشا عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٢١) مسقط أفقي لجامع النخلي عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٢٢) مسقط أفقي لجامع محمود عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٢٣) مسقط أفقي لجامع ابن صوان عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٢٤) مسقط أفقي لجامع شائب العين عن الموسوعة (الجزء الأول).
شكل(٢٥) مسقط أفقي لجامع عبد الواحد الدوكالي عن الموسوعة (الجزء الأول).

اللوحات

لوحة (١) ضريح رويفع بن ثابت بالبيضاء عن صورة قديمة بمتحف آثار البيضاء.

لوحة (٢) ضريح رويفع بن ثابت.

لوحة (٣) مدخل ضريح رويفع بن ثابت.

لوحة (٤) محراب مسجد الشيخ حمد الشتيوي

لوحة (٥) البائكة الثلاثية بمسجد حمد الشتيوي

لوحة (٦) جدار الواجهة العمومية من الداخل في مسجد المدينة.

لوحة (٧) ميضأة المسجد المضافة حديثاً في مسجد المدينة.

لوحة (٨) جدار القبلة بمسجد المدينة.

لوحة (٩) الجدار الغربي بمسجد المدينة.

لوحة (١٠) فتحات القسم الشمالي من الجدار الغربي.

لوحة (١١) الجدار الشمالي الغربي وقسم من الميضأة بمسجد المدينة.

لوحة (١٢) ضريح مسجد المدينة.

لوحة (١٣) محراب المسجد العتيق بمدينة درنة.

شكل (١)

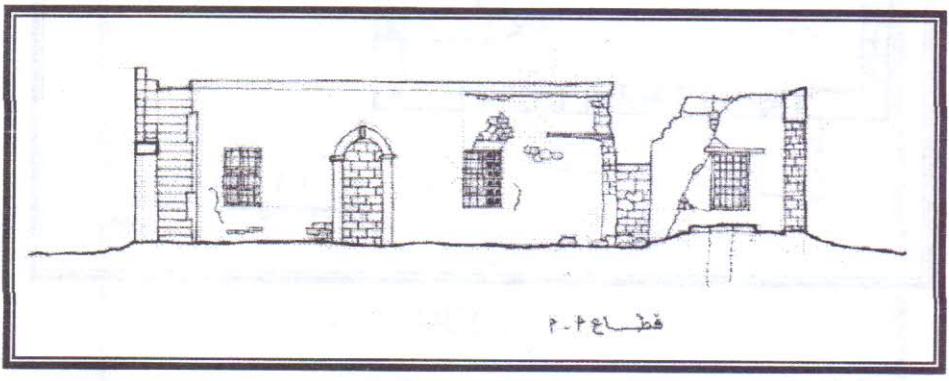

شكل (٢)

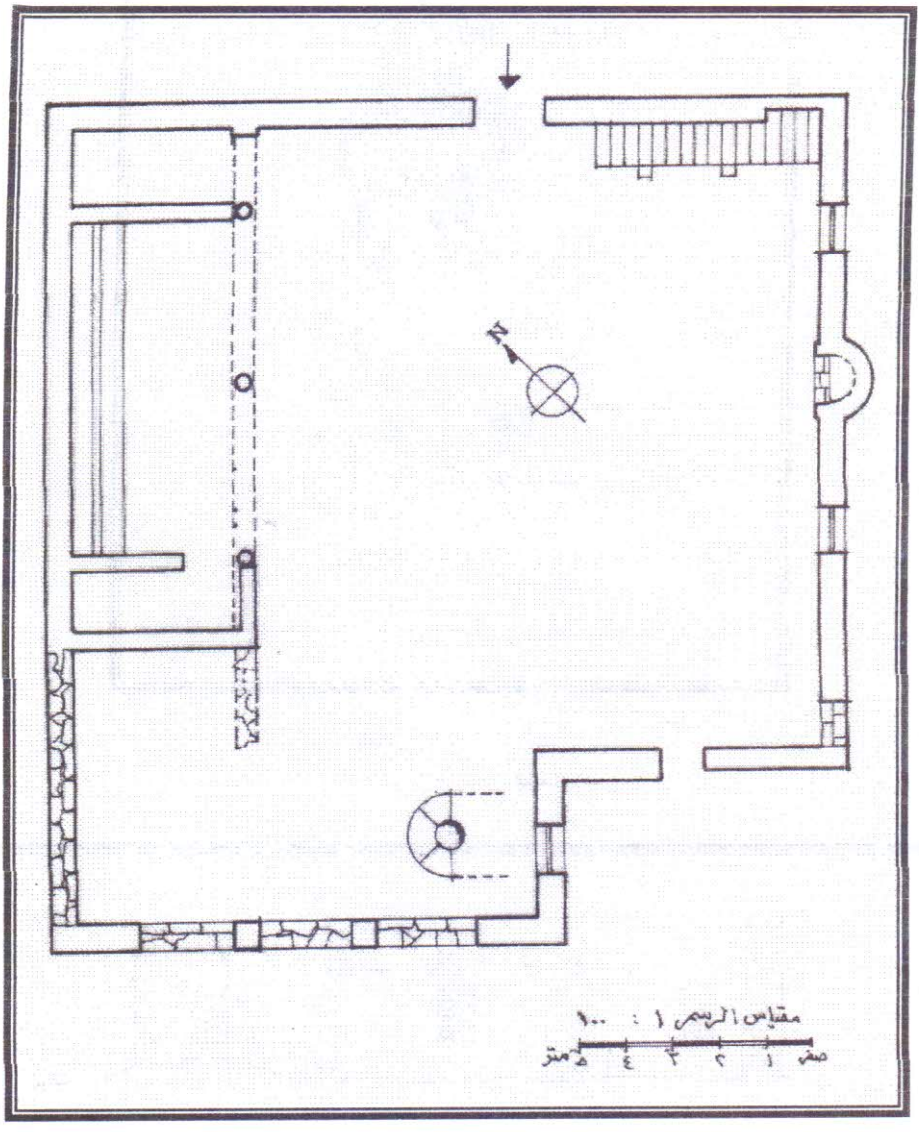

شكل (٣)

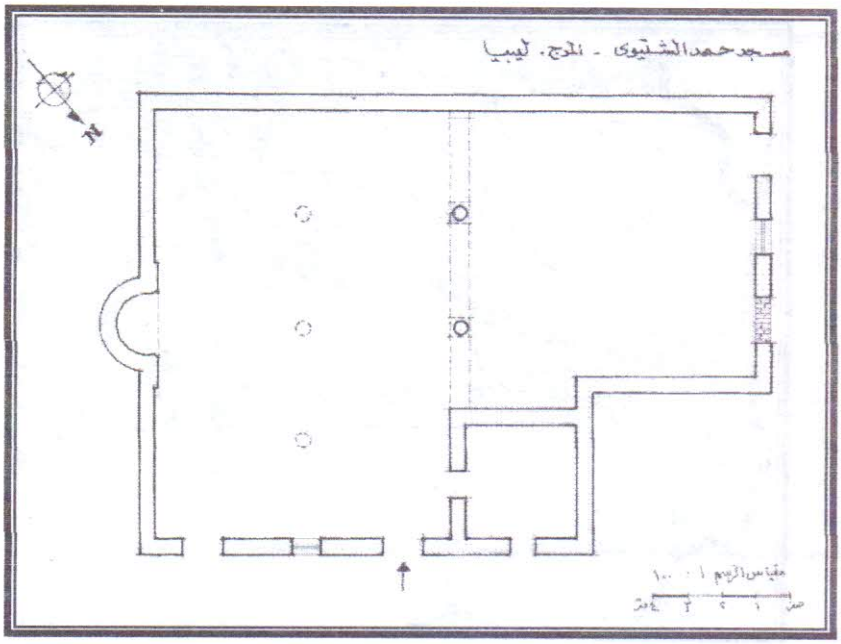
مسجد حمد الشتيوى - المرج. ليبيا
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل (٤)

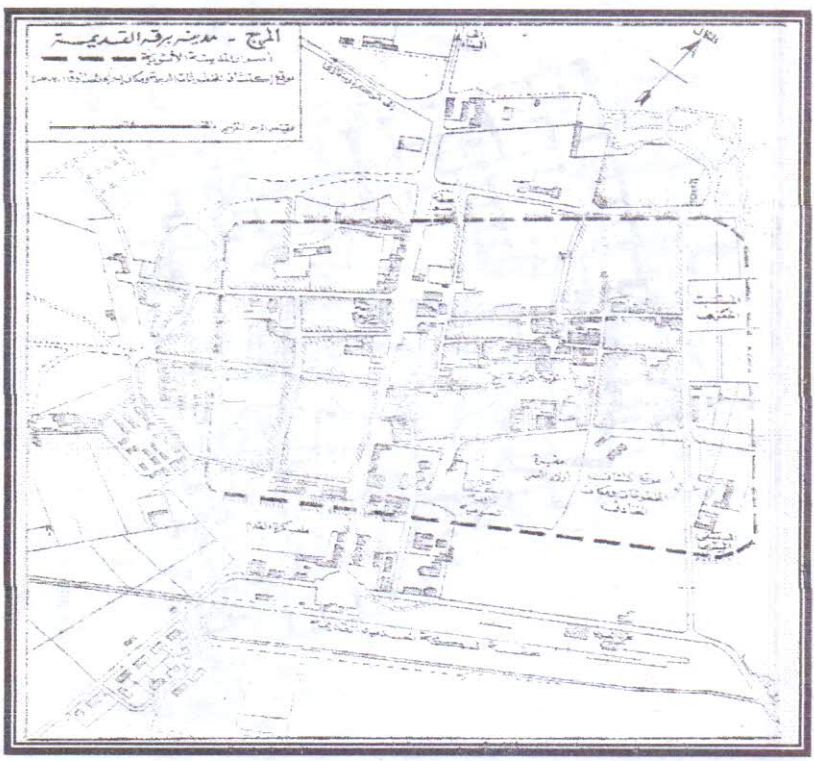
المرج - مدينة برقة القديمة

شكل (٥)

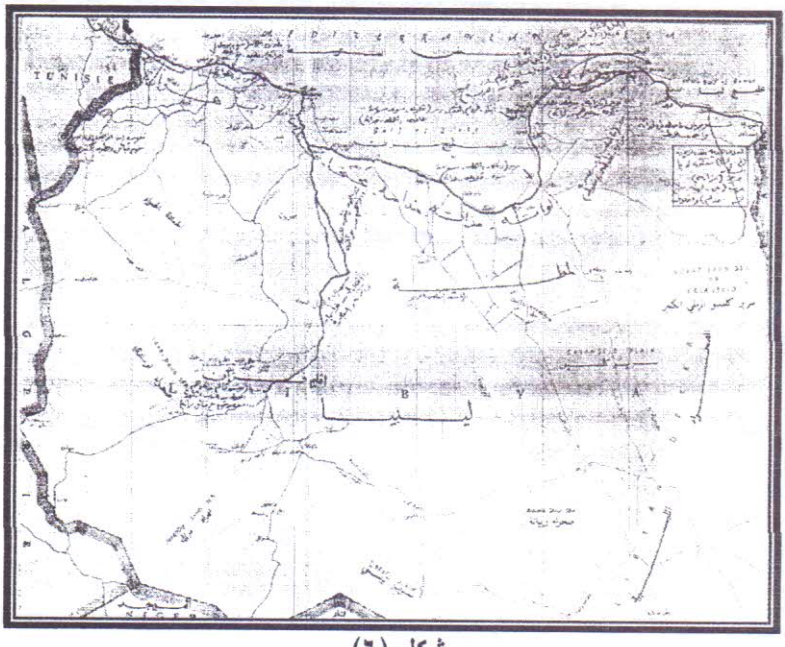

شكل (٦)

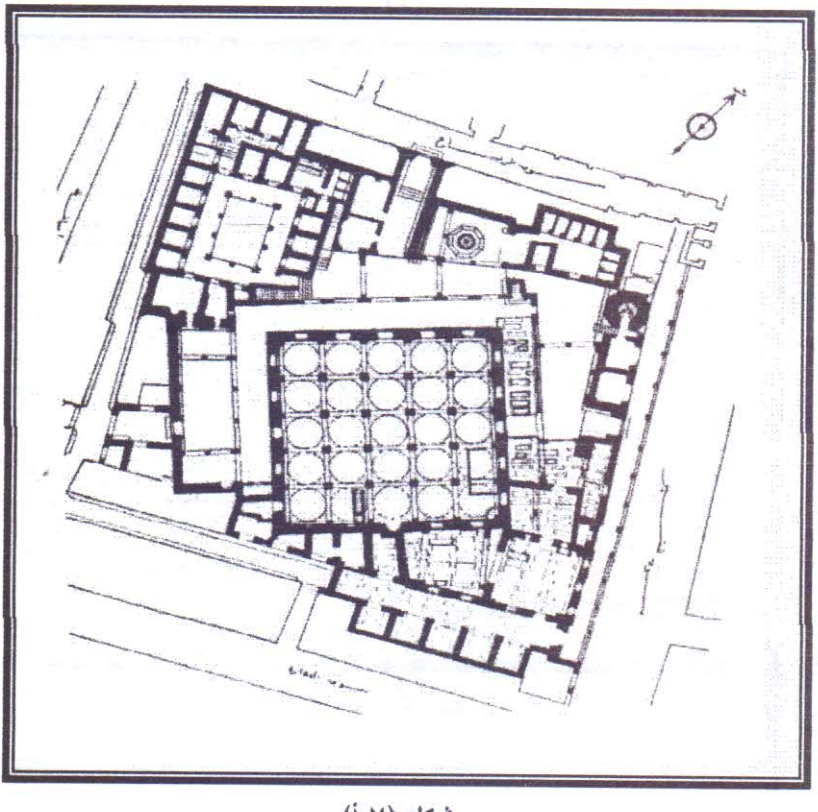

شكل (٧ أ)

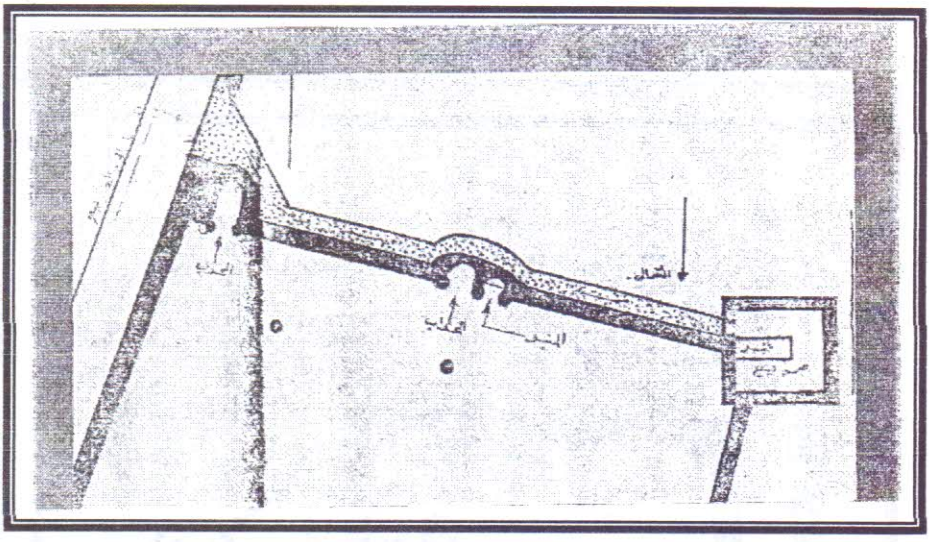

شكل (٧ ب)

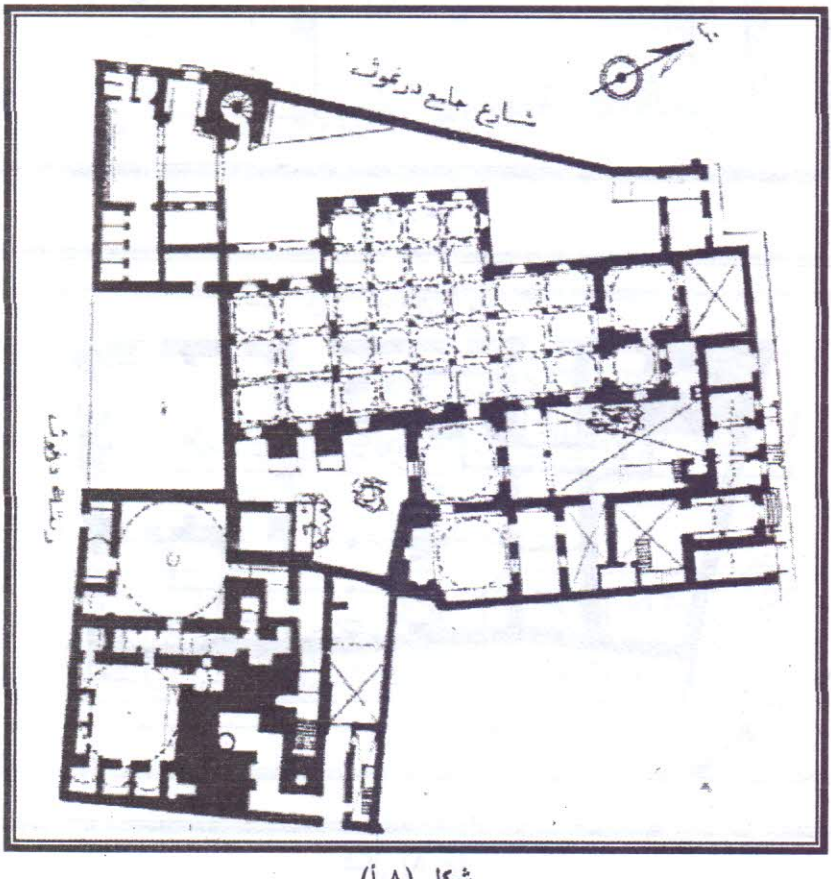

شكل (٨ أ)

شكل (٨ أ)

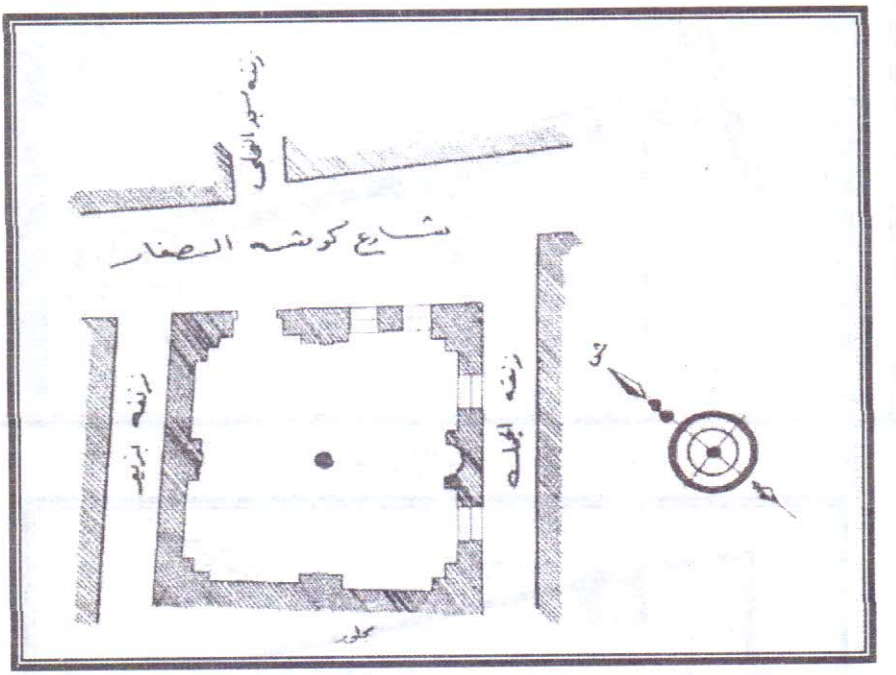

شكل (٨ ب)

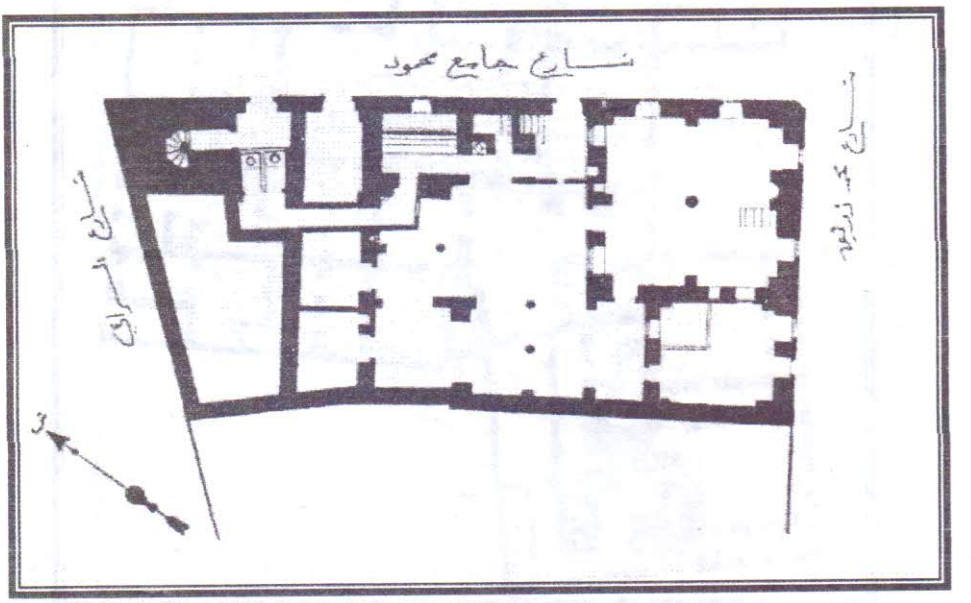

شكل (٨ ج)

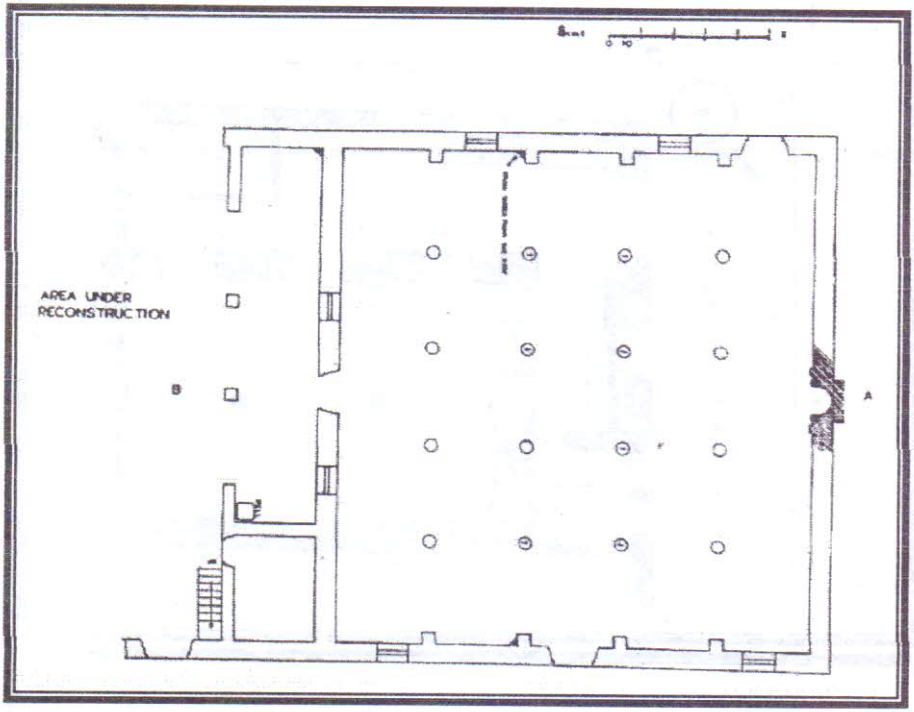

شكل (٩ أ)

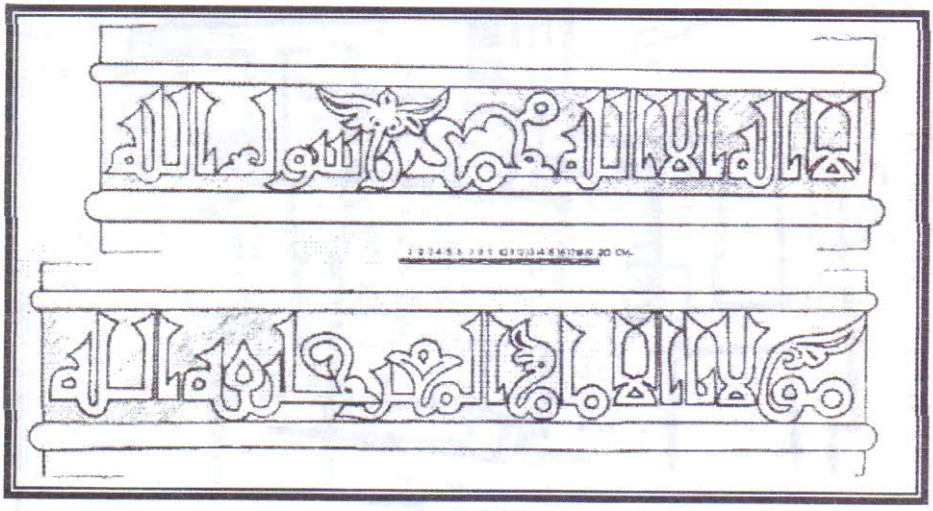

شكل (٩ ب)

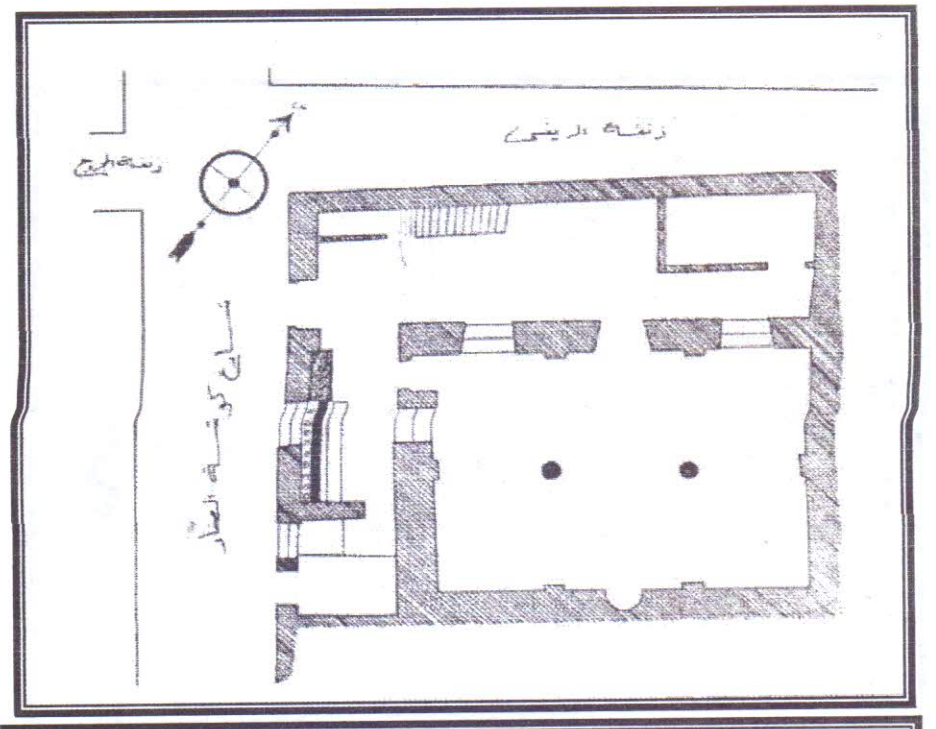

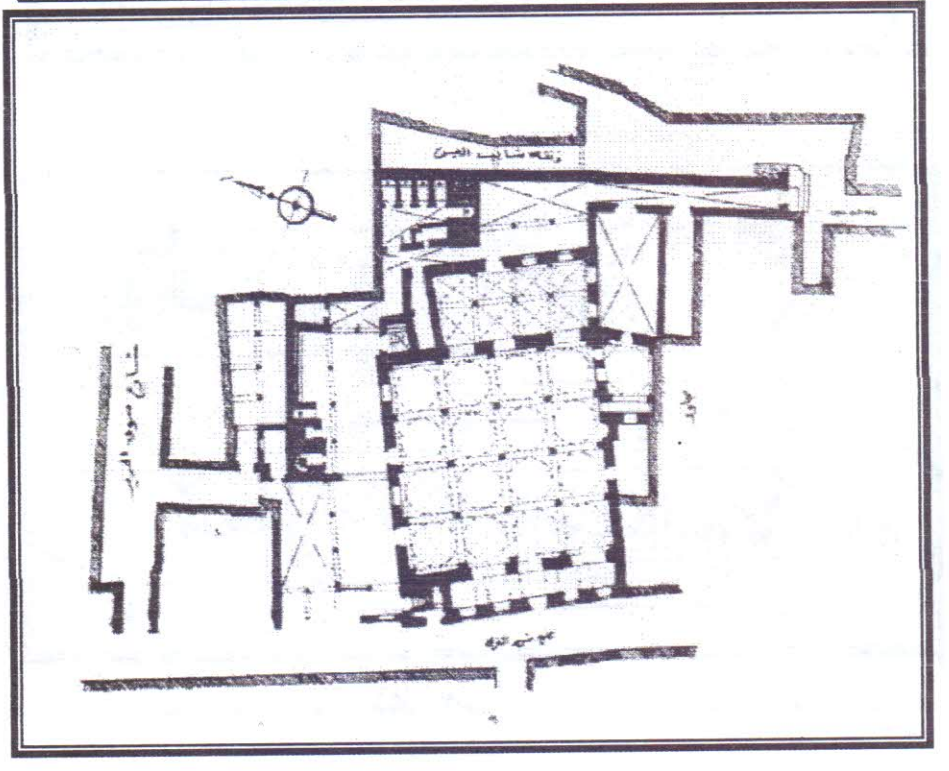

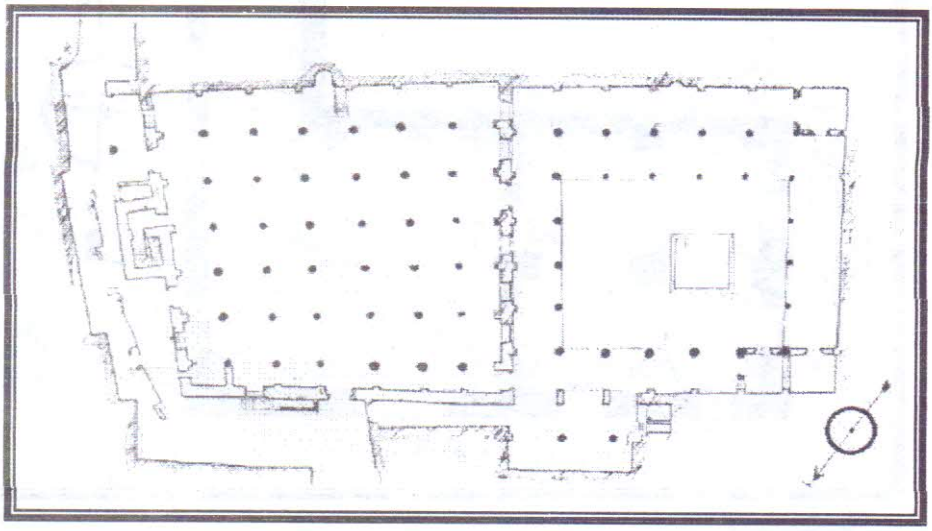

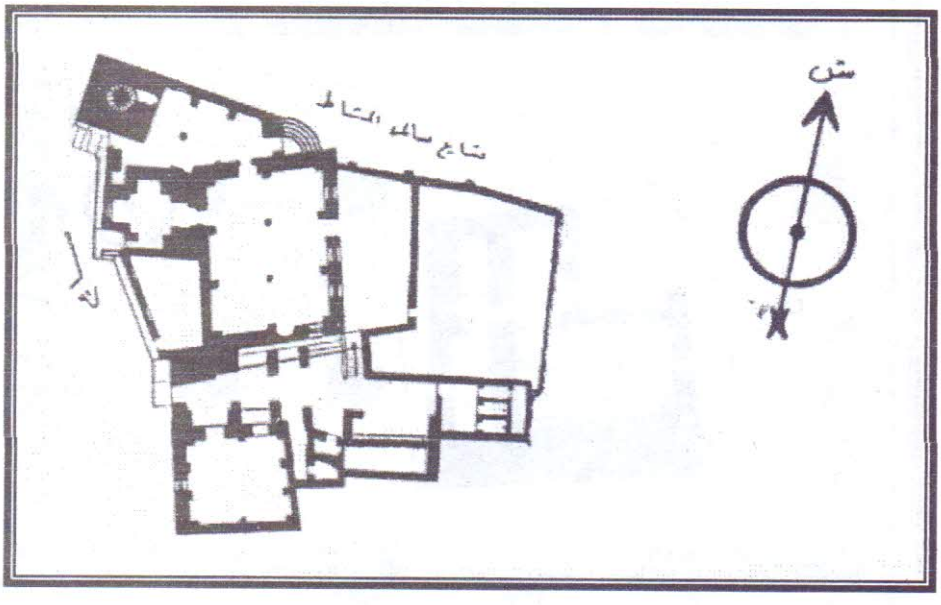
شمال

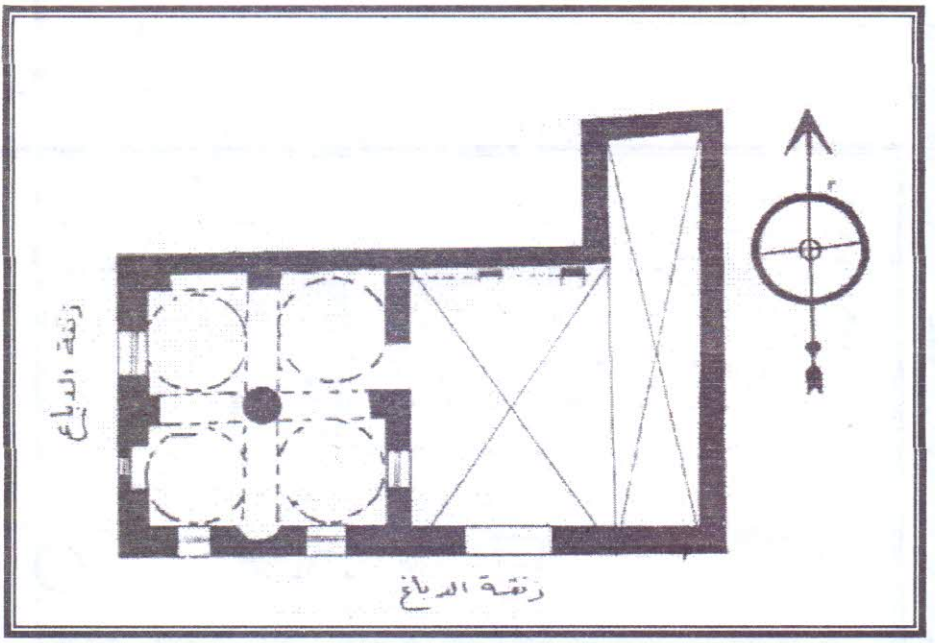
زنقة الدباغ
زنقة الدباغ

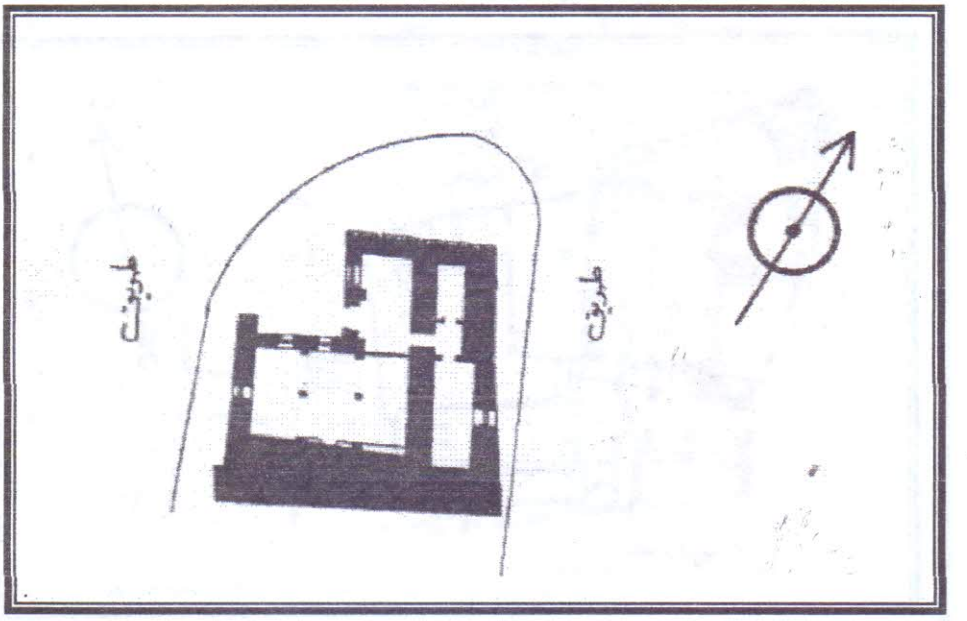
طريق
طريق

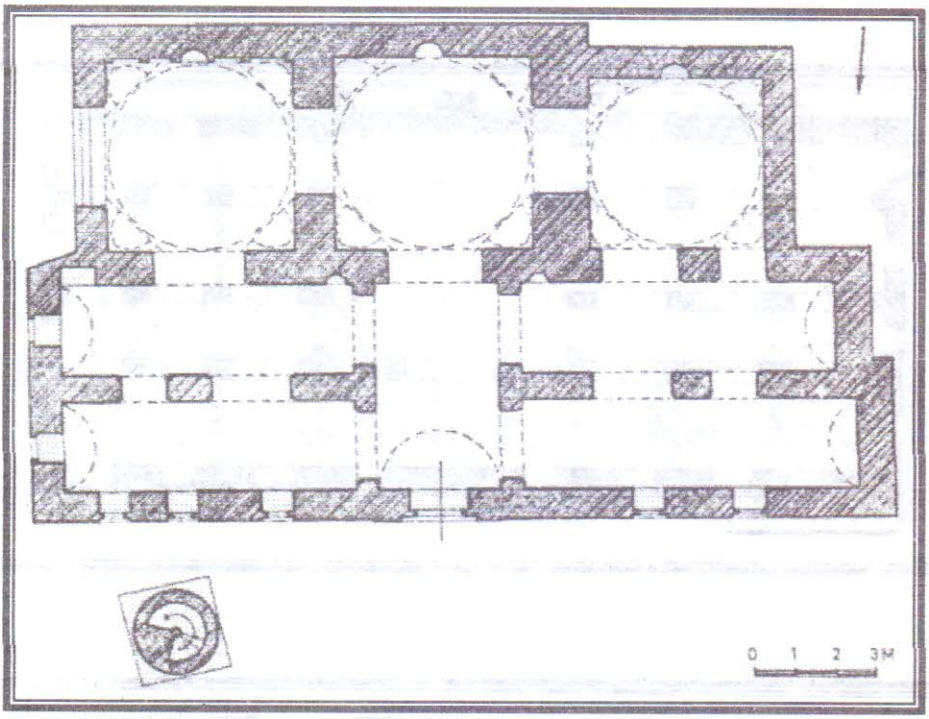
0 1 2 3M

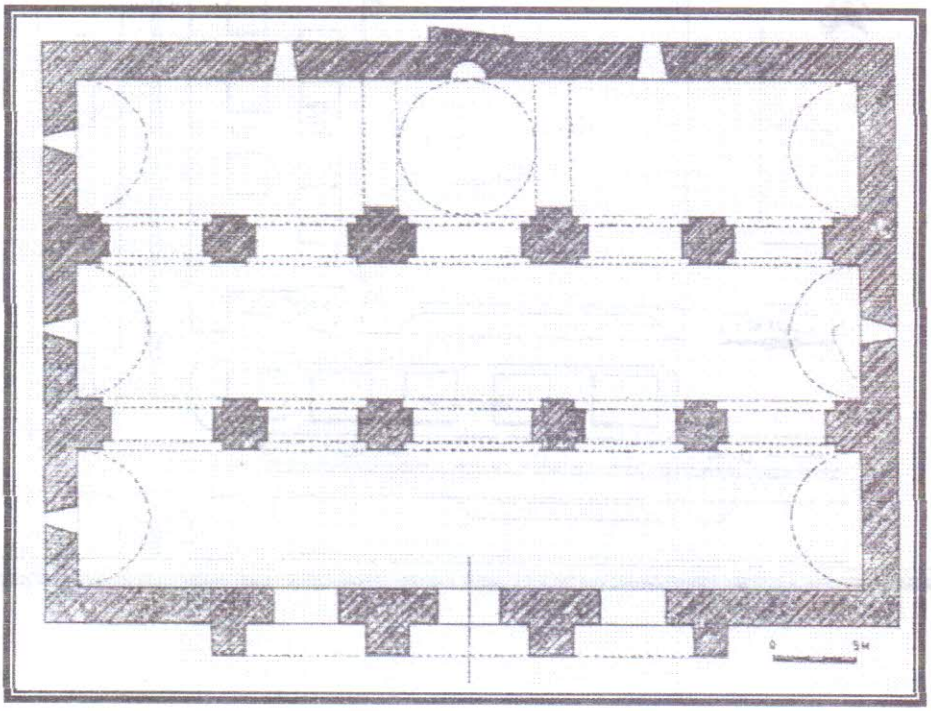
0 5M

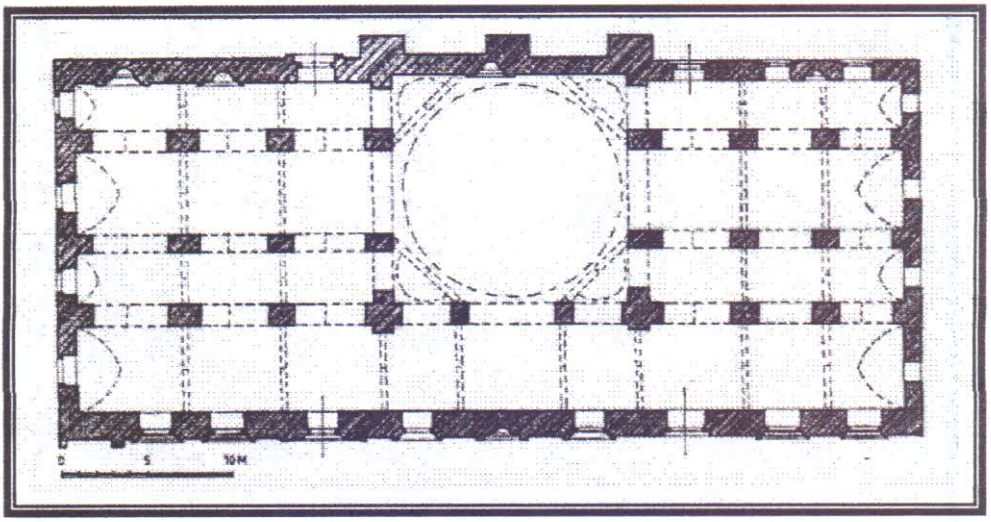
0
5
10 M

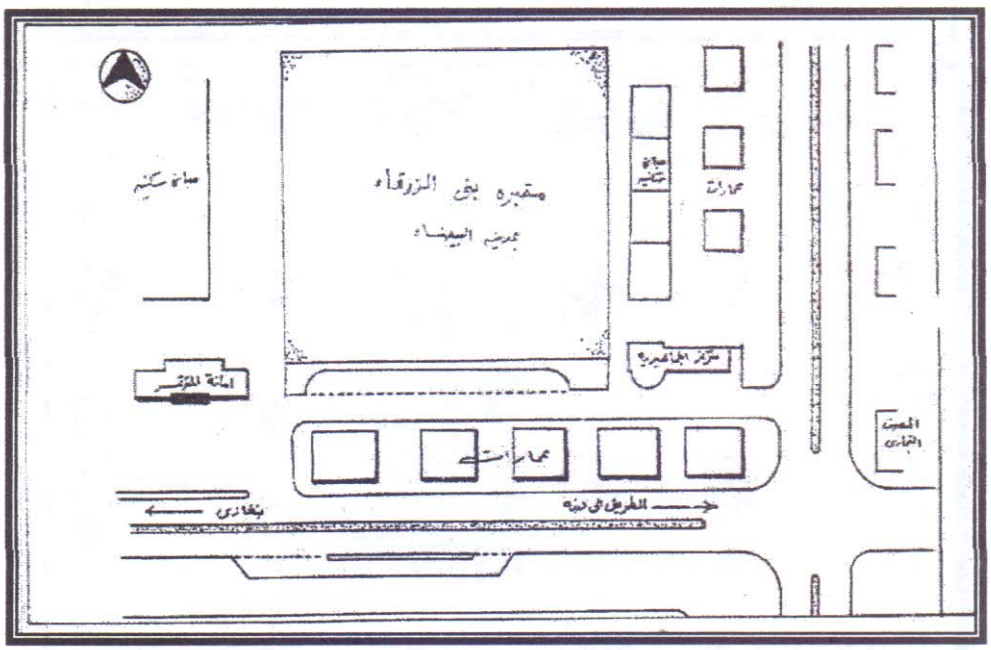
مقبرة بني الزرقاء
بمدينة البيضاء
مساكن
عمارات
مركز الجامعة
امانة المؤتمر
عمارات
المحيط
الهادي
الطريق الى دنيه
بنغازي

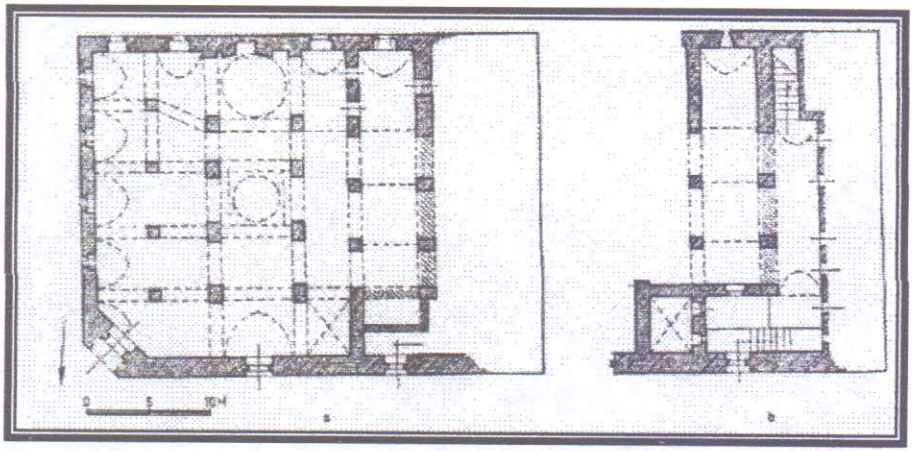

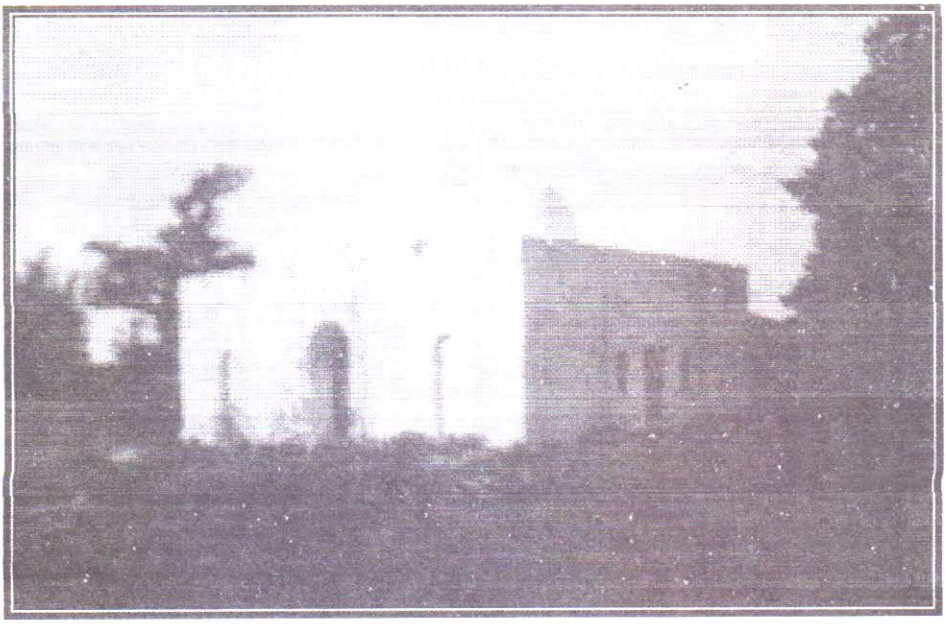

لوحة (١): ضريح رويفع بن ثابت بالبيضاء عن صورة قديمة بمتحف آثار البيضاء.

لوحة (٢): ضريح رويفع بن ثابت.

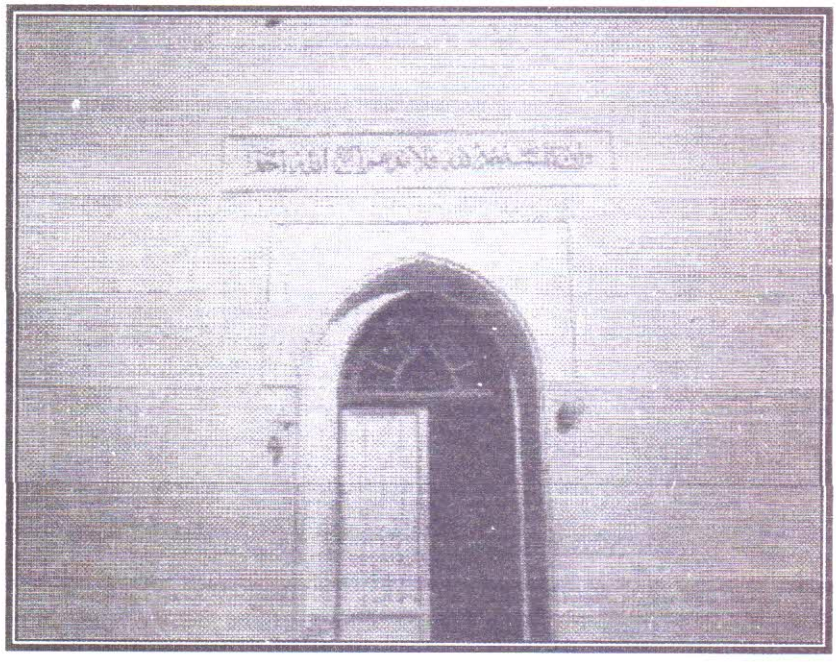

لوحة (٣): مدخل ضريح رويفع بن ثابت.

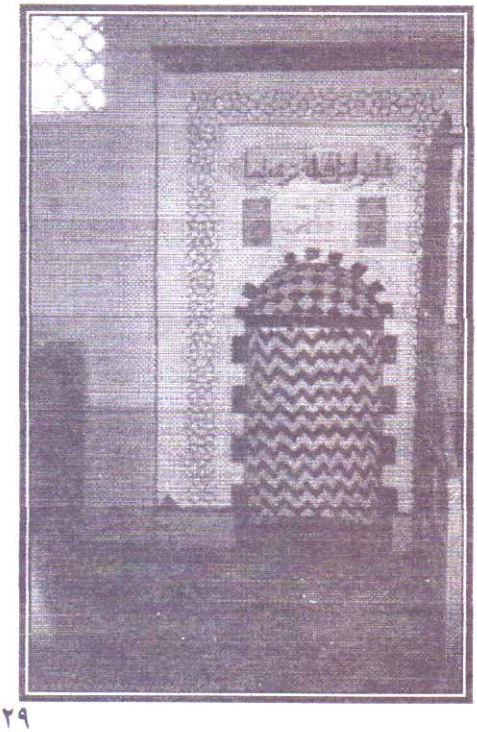

لوحة (٤): محراب مسجد الشيخ حمد الشتيوي حراب مسجد الشيخ حمد الشتيوي

لوحة (٥): البائكة الثلاثية بمسجد حمد الشتيوي

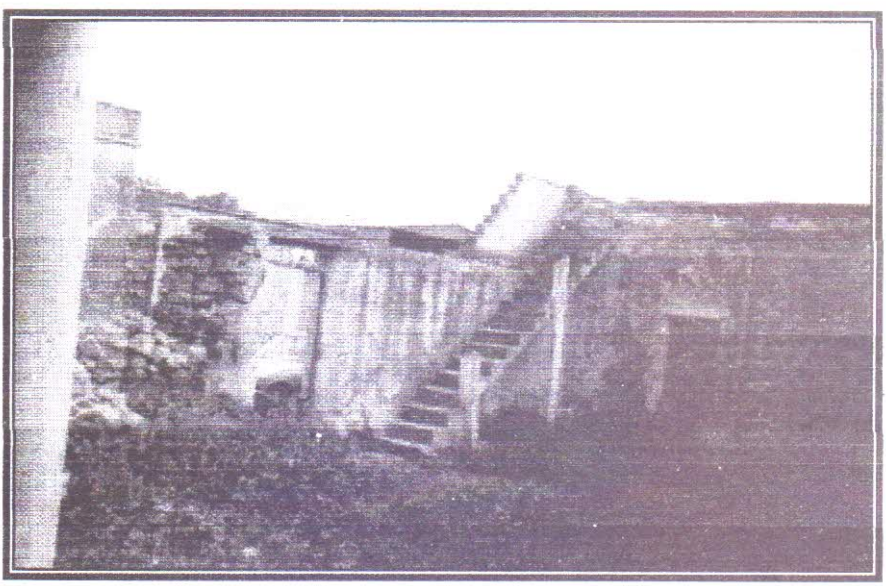

لوحة (٦): جدار الواجهة العمومية من الداخل في مسجد المدينة.

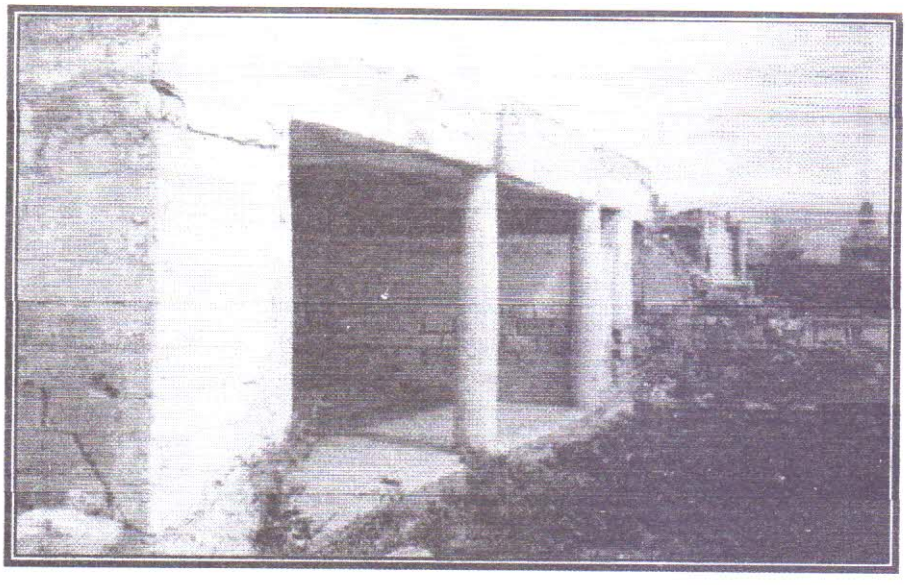

لوحة (٧): ميضأة المسجد المضافة حديثاً في مسجد المدينة.

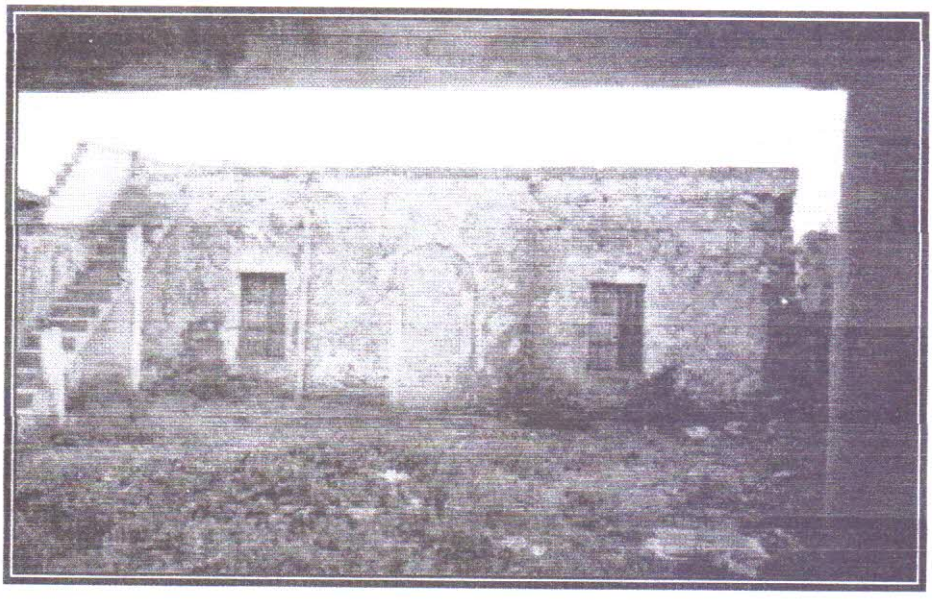

لوحة (٨): جدار القبلة بمسجد المدينة.

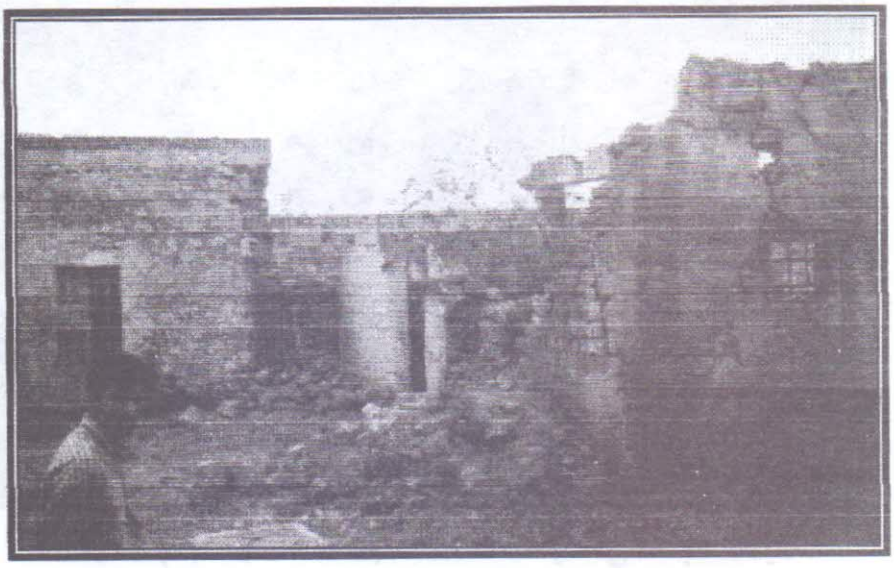

لوحة (٩): الجدار الغربي بمسجد المدينة.

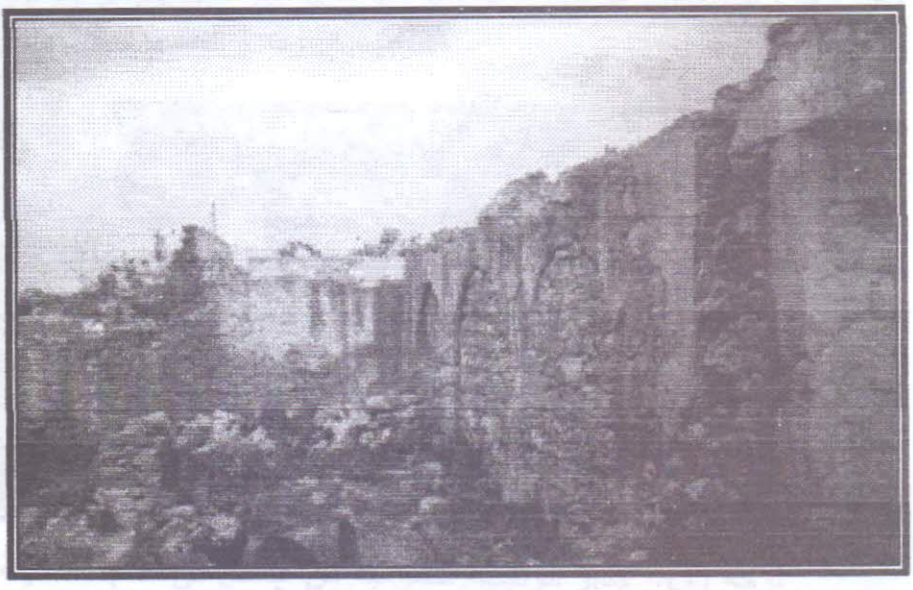

لوحة (١٠): فتحات القسم الشمالي من الجدار الغربي.

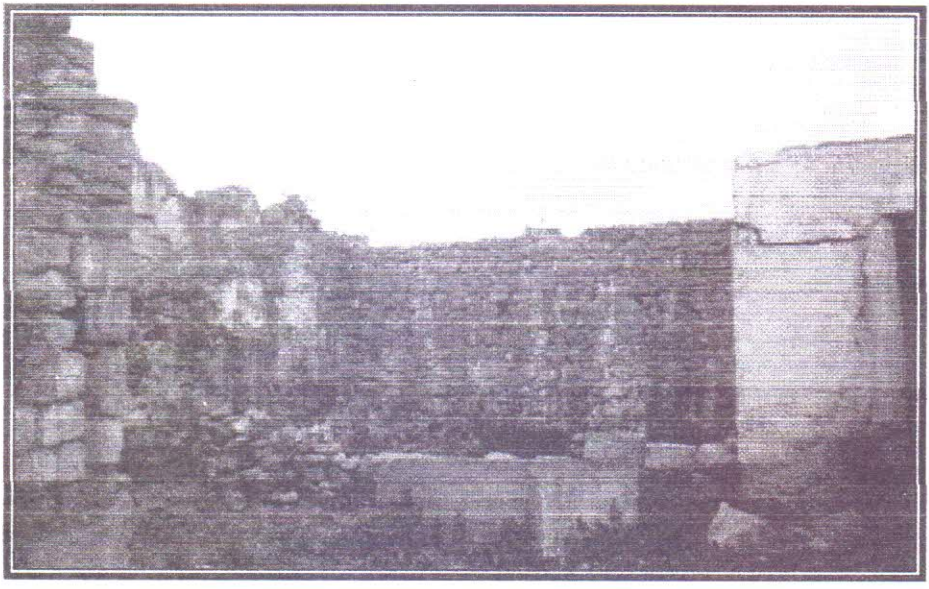

لوحة (١١): الجدار الشمالي الغربي وقسم من الميضأة بمسجد المدينة.

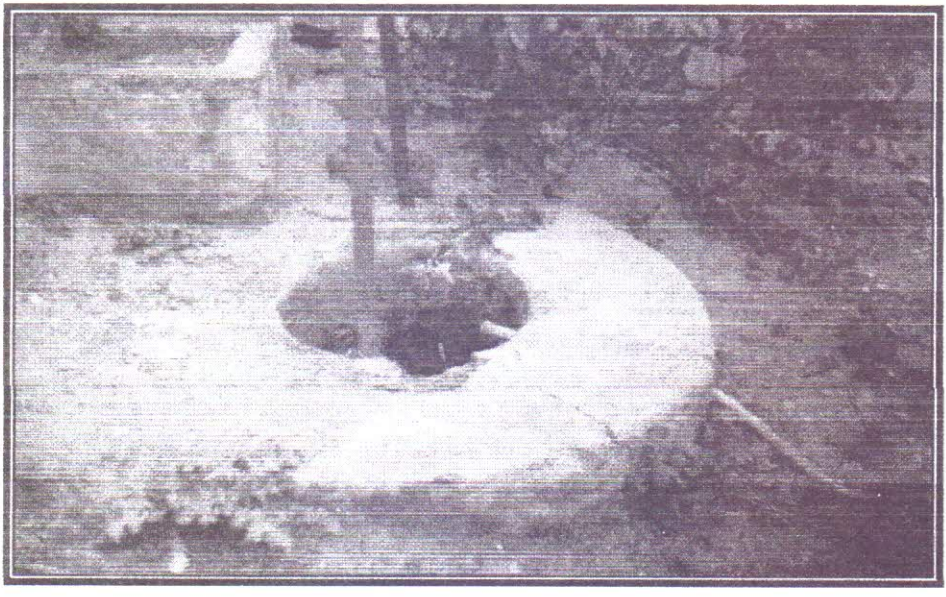

لوحة (١٢): ضريح مسجد المدينة.

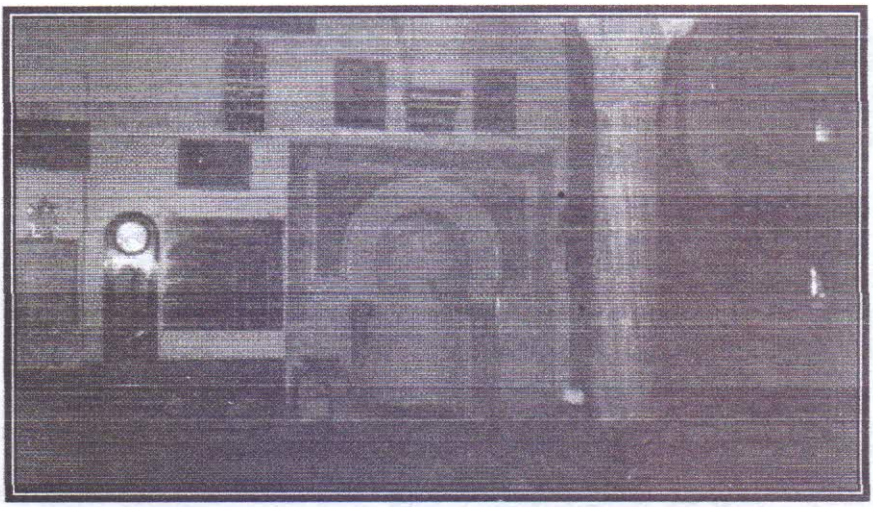

لوحة (١٣): محراب المسجد العتيق بمدينة درنة.